

T.C.

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

EBU MUHAMMED TAHİR EL-KAZVİNİ'NİN "KİTÂBU NÛRİ'L-HAKÎKA FÎ İSBÂTİ'L-MA'RİFE" ADLI ESERİNİN TAHKİK VE DEĞERLENDİRİLMESİ

Hazırlayan

Salar Ziro ABDULLAH

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Danışman

Yrd.Doç.Dr. Abdulnasır SÜT

Bingöl-٢٠١٦





الجمهورية التركية

جامعة بنكول

معهد العلوم الاجتماعية

قسم علم الكلام

كتاب نور الحقيقة في إثبات المعرفة لأبي طاهر القزويني
(دراسة وتحقيق)

اعداد الطالب

سالار زيرو عبد الله

رسالة ماجستير

بإشراف الأستاذ الدكتور

عبد الناصر سوت

بنكول ـ ٢٠١٦م

المحتويات

Bilimsel Etik Bildirimi

Yüksek Lisans tezi olarak hazırladığım (***Ebu Muhammed Tahir El-Kazvini'nin "Kitabu Nuri'l-Hakika Fi-Isbati'l Ma'rife" Adli Eserinin Tahkik ve Değerlendirilmesi***) adlı çalışmanın öneri aşamasından sonuçlanmasına kadar geçen süreçte bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığım bu çalışmamda doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu beyan ederim.

٢٤ /١ /٢٠١٧

Salar Ziro ABDULLAH

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (٢). ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾(٣).

أما بعد: فإنَّ سنة الله في القذف بالحق قائمة ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾(٤).وإن أمارات النصر والتمكين لهذه الأمة تبشر بأنَّ المستقبل لهذا الدين، وأنَّ السيادة، والريادة لأمة الإسلام بيقين؛ لتكون لهم عاقبة الدار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(٥). ولما كان الأخذ بالأسباب سنة كونية لا تتبدل، كان لزاماً على أبناء هذه الأمة المخلصين، وحماتها أن يعدوا العدة، ويأخذوا بأهبة الاستعداد؛ لينالوا وعد الله، ويستأهلوا مقام الخلافة في الأرض؛ ليملأ الدنيا رحمة وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

وإنَّ هذا التراث الإسلامي الضخم الذي آل الينا من أسلافنا العِظام لجدير بأن نقف أمامه وِقفة إكبارٍ، وقد بات واجباً على الأمة الاسلامية في هذه الآوِنة أن تقوم بدورها في عرض، وتقديم التراث القابع في الأدراج والمكتبات على هيئة مخطوطات، وذلك لطلاب العلم والمعرفة.

وإنَّ هذا البحث ليعد إطلالة على نافذة من نوافذ الفكر الإسلامي توضح لنا الشخصية الفكرية لإمام من أئمة الهدى وذلك من خلال دراسة وتحقيق مخطوطة من مخطوطاته.

---

(١) سورة آل عمران:١٠٢.
(٢) سورة النساء:١.
(٣) سورة الأحزاب: ٧.
(٤) سورة الأنبياء: ١٨.
(٥) سورة الصافات: ١٧٣.

وذلك بإضافة هذا الجهد الذهني؛ لذلك العلامة إلى حصيلة التراث الفكري؛ لهذه الأمة، ويكتب له الخروج إلى الوجود.

- ثم بعد أهدي هذا البحث المتواضع:

إلى روح حضرة خير البشر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إلى والدي اللذين خفف الله عني الكثير من المتاعب بفضل بركة دعواتهما لي...

إلى زوجتي وأولادي الذين صبروا على ابتعادي عنهم، وحرمانهم من العناية والرعاية أثناء انشغالي بالدراسة...

وإلى كل من ساعدني ولو بكلمة.

- وأقدم هذا الجهد المتواضع التزاماً بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾(٦)،

وعرفاناً بالفضل لأهله، أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم، أو ساعد في هذا البحث، أو أسدى إليَّ نصيحة، أو توجيهاً.

وأخص بالذكر أستاذي الكريم المشرف على هذه الرسالة، الدكتور: عبد الناصر سوت ، الذي منحني من جهده، ووقته الكثير، وجاد عليَّ بنصائحه، وتوجيهاته السديدة النافعة؛ فأسأل الله – سبحانه وتعالى- أن يجزيه خير الجزاء.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير لأستاذ الفاضل/ منيب محمد العقراوي، على ما بذله من جهد في مراجعة هذا البحث المتواضع.

وأتوجه بالشكر والعرفان للجامعة بنكول والقائمين عليها.

وإلى كل من ساهم في إخراج هذا الجهد المتواضع فجزاهم الله خيرا.

وأدعو من لله العلي القدير أن يوفق الجميع لخدمة العلم والدين وأن يجزيهم عني خير الجزاء إنه هو السميع العليم.

(٦) سورة النمل:٤٠.

ÖZET

İlim ve kültür mirasımızın ilmî konumu ve değerini ortaya koyan birçok kanıttan biri olan Nûrü’l-hakika fî İsbâti’l-ma‘rifa kültür mirasımızın önemli eserlerindendir. Bu eseri mahtut olarak Ayasofya kütüphanesinde gördük. Mahtutun diğer nüshalarının olup olmadığını ciddi bir şekilde araştırdığımızda ١٢٦٢ rakamlı Türkiye’deki nüsha dışında başka bir nüshasını bulamadık. Bu nedenle bu nüshayı temel aldık.

Tezimizde politik, sosyolojik, ekonomik ve fikrî hayat açılardan Kazvînî’nin çağı ve hayatını ele aldık. Ebû Muhammed Tahir ibn Ahmet el-Kazvinî, beşinci asrın sonlarında ve altıncı asrın başlarında doğmuştur. Bu da egemenliği beş asır devam eden Abbasi hilafetinin dönemine tekabül eder. Bu dönem, İslam dünyasının önemli olaylarla çalkalandığı bir zaman dilimine tekabül eder.

Çalışmamızda Kazvînî’nin marifetüllaha oldukça önem verdiği sonucuna vardık. Zira onun zamanında marifetüllaha ilişkin ciddi ihtilaflar söz konusu olmuştur. Kazvînî bu durumu şöyle ifade etmektedir: *Müslümanlardan bir grubun marifetüllah hakkında birbirleri ile kavga ettiklerini gördüm. Kimileri Yüce Allah’ın gerçek anlamda bilineceğini iddia ederken kimileri ise Yüce Allah’ın bilinemeyeceğini açıkça ifade etmektedir. Bu durum, eserimin en temel nedenidir*.

Bu çalışmamda eserin tanıtımı, isminin tahkikini, Kazvînî’ye nispetini, telif zamanı, nedeni, metodolojisi ve değerini ele aldıktan sonra eseri tahkik etmeye başladım. Ayrıca Kazvînî’nin, mânevî, haberî ve selbî sıfatlar, rü’yetüllah, ef’alü’l-ibad, keyfiyet, kemiyet, cihet, inniyet ve illiyet gibi konulardaki tutumuna yer verdik. Kazvînî, bu eserinde nahiv, sarf ve belağat gibi diğer bazı konulara da temas etmiştir.

Anahtar Kelimeler: Marife, Kazvini, Sıfat-ı meani, Selbi, Kaza, Kader.

ABSTRACT

"Nurü'l-hakika fi Isbâti al-Ma'rifa" is one of the most important works of our cultural heritage, which is one of the many proofs that reveal the scientific position and value of our scientific and cultural heritage. We noticed this limited work in the Hagia Sophia library. When we seriously investigated whether other copies of this work existed, we could not find a copy other than this copy numbered ١٢٦٢ in Turkey. Thus, we based our study on this edition.

In the present study, we scrutinized the era and the life of Kazvînî based on the political, sociological, economic and intellectual life in his time. Abu Muhammad Tahir ibn Ahmad al- Kazvînî was known to be born either at the end of the fifth century or in the beginning of the sixth century. This corresponds to the period of the Abbasi Caliphate, whose sovereignty continued for five centuries. This period corresponds to a period of time when the Islamic world was in turmoil with important events.

In the present study, we found that Kazvînî focused significantly on the knowledge of Allah's names and wisdom. Because, at that time serious disputes concerning the nature of this discipline were abound. Kazvînî expresses this situation as follows: *I saw that a group of Muslims were fighting about the wisdom and the names of Allah. Some claim to know Allah Almighty in the true sense, while others explicitly state that Almighty Allah could not be known. This is the main reason for my work.*

In this study, initially, the work was introduced, its name was examined, its significance for Kazvini was assessed and its publication era, the reason behind, the methodology and the value of the work was investigated.

Furthermore, the attitude of Kazvini on topics such as spiritual, informative, negative characters of Allah, physical observation of Allah in the afterlife, the actions of the subjects, qualitative properties of Allah, quantitative properties of Allah, self, and causation. Kazvini also mentioned certain other topics such as syntax, grammar and rhetoric in his work.

Keywords: Indication, Kazvini, qualities of Allah, misfortune, fat

خلاصة البحث

كتاب "نور الحقيقة في إثبات المعرفة" هو كتاب مهم من كتب تراثنا، يأتي شاهداً وجديداً ينضم إلى الشواهد الكثيرة القائمة على قيمة هذا التراث ومكانته العلمية. فعثرنا على هذ الكتاب مخطوطة في مكتبة آيا صوفية فبحثنا بحثاً شديداً حول نسخ المخطوط فلم أجده غير نسخة واحدة في تركيا تحت رقم ١٢٦٢، ولذلك جعلت هي النسخة الأم.

وذكرت في هذا البحث عصر القزويني وحياته، من النواحي السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، وقد عاش أبو محمد طاهر بن أحمد القزويني في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس من الهجرة النبوية في ظل الخِلافة العباسية التي امتدت سلطانها زهاء خمسة قرون، وهي فترة دقيقة من حياة العالم الإسلامي التي حفلت بأحداث مهمة.

وحصلنا في ضمن بحثنا أن القزويني اهتمَّ بمعرفة الله تعالى اهتماما بالغا؛ لأن في عصره وقع الخلاف بين المسلمين حول معرفة الله تعالى، كما أشار إليه القزويني بقوله: " فإني سمعت جماعة من المسلمين يتناطحون في هذه المسألة و يتذابحون عليها أعني مسألة المعرفة فبعضهم يدعي أن الله يُعرف حقيقة وبعضهم يصرح بأنه لا يعرف بالحقيقة، وهذا هو سبب رئيسي لتأليف هذا الكتاب".

وقمت بتعريف الكتاب، وتحقيق اسمه، ونسبته إليه، وزمن تأليف الكتاب، وسبب تأليفه، ومنهج التأليف، وقيمة الكتاب، وأخيراً قمت بتحقيق الكتاب.

وقمت أيضاً بذكر مواقف القزويني في الإلهيات في كل من وجود الله، وصفاته السلبية، وصفاته المعانيّة، وصفاته الخبرية، ورؤية الله تعالى في الآخرة، وموقفه من أفعال العباد، ونفي الجهات عن رب العالمين، وكذا الكيفية، والكمية، واللمية، والأينية.

تناول القزويني أموراً أخرى في تأليفه هذا إلى المسائل العلمية، وذكر عبارات التصوف والإشارة إلى بعض ما وقع في عصره، وللقزويني آثار علمية في مختلف العلوم، من علم الكلام والنحو والصرف والأدب.

الكلمات المفتاحية: المعرفة، وجود الله، القزويني، محمد طاهر، القضاء والقدر، الإلهيات.

الاختصارات:

د: الدكتور.

ت: التحقيق.

ط: الطبعة.

ط١: الطبعة الأولى.

ط٢: الطبعة الثانية.....

أ: الأستاذ.

ت: المتوفى.

د. س، ت، ط: بدون التاريخ سنة الطبع.

ج: جلد.

ص: الصحيفة.

م: الميلادي.

هـ: الهجري.

المدخل

فمن نعمة الله على هذه الأمة أن أرسل فيها هذا النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم)، وأنزل عليه هذا الكتاب الكريم الهادي إلى صراط الله المستقيم، وتكفل جل وعلا بحفظ كتابه ودينه، وأكمل الله عز وجل لهذه الأمة دينها ولم يقبض نبيه إليه، إلا بعد ما بلّغ البلاغ المبين التام، وترك رجالاً فقهوا الكتاب، والسنة، وتمسكوا بهما، وكانوا جميعاً على عقيدة صحيحة واضحة ربطت بينهم وجمعتهم على كلمة واحدة، وقد خلف هذا الجيل جيل التابعين الذين كانوا خير خلف؛ لأعظم سلف، ورثوا الكتاب والسنة، وساروا على هدي النبوة.

وكانت معرفة الله تعالى أول ما يجب على الإنسان في دينه، وكانت هذه المعرفة ـ لا تتم على الوجه الأكمل- إلا بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله في خلقه، والإيمان بتلك الأسماء والصفات والأفعال، وإقرارها، إذ بها تعرف الله إلى عباده سبحانه.

وأنَّ معرفة الله، هي زبدة دعوة الرسل، وخلاصتها، وعندها تلتقي جميعها مع اختلاف مناهجها وشرائعها؛ لأن جميع الرسل إنما أرسلوا ليعرفوا الناس ربهم، وخالقهم فيعبدوه في ضوء تلك المعرفة.

وإن أشرف غايات المسلم، ومنتهى طلبه أن يفوز برضوان الله تعالى، وجنته، وأن يتنعم بالنظر إلى وجه الله ذي الجلال والإكرام، في الدار الآخرة، ولكن هذه الغاية، لن تتحقق إلا بتوفيق الله عز وجل؛ لعبده للإيمان به وحده، وطاعته، واجتناب معاصيه. وإنَّ لهذه المخطوطة أهمية بالغة في معرفة الله تعالى، وهي من المخطوطات النادرة؛ لكونها من عالم جليل ظهر في أقوى مراحل الدولة العباسية.

أهداف البحث.

يهدف هذا البحث المتواضع الذي بين أيدينا، إلى بيان معرفة الله تعالى، وإثباتها بأدلة النقلية، والعقلية، وبيان اختلاف الفرق في المعرفة، وبيان الفرق المحقة والمطلة.

قمت بتحقيق هذا الكتاب؛ لأنَّ معرفة الله تعالى أوّل ما يجب على الإنسان في دينه، وأنَّ القزويني بيّن كثير الأشياء حول معرفة الله تعالى، فمن خلال دراستنا وتحقيقنا لهذا الكتاب لظهوره وزيادة بيانه.

وشرح القزويني، الأدلة التي تمسك بها نفاة المعرفة؛ لأنَّ بعض الناس حملها على المسلمين جهلاً منهم بمعرفة سبب النزول.

وبين القزويني طرق معرفة الله تعالى أيضاً في استخراج وجوه الأدلة النظرية من الصُّنع إلى معرفة الصانع؛ لأنَّ معرفة الله تعالى لما كانت متلقاة من معارف الصنع، ومن عرف الصنع عرف الصانع.

عملي في تحقيق الكتاب

قد قمت بحمد الله تعالى في تحقيقي لهذا الكتاب بعمل يقوم على الخطوات التالية:

١- بحثت بحثاً شديداً حول نسخ المخطوط فلم أجده غير نسخة واحدة في مكتبة آيا صوفية في تركيا تحت رقم ١٢٦٢، ولذلك جعلت هي النسخة الأم.

٢- حرصت على ضبط النصوص، وبذلت جهدي من أجل إخراجها كما أورده المؤلف.

٣- قمت بعزو الآيات القرآنية إلى أسماء السور، مع ذكر أرقام الآيات.

٤- خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها حسب الطرق المعتمدة في التخريج.

٥- قمت بالترجمة للأعلام الغريبة التي، وردت في هذا الكتاب، من كتب التراجم.

٦- قمت بذكر المرجع أو المصدر، مع اسم المؤلف، مع ذكر الناشر، وتاريخ الطبعة إذا توفرت، وعند تكرار ذكرت المرجع، أو المصدر مع اسم المؤلف مختصراً.

٧- راعيت الفواصل والنقط وعلامات الترقيم المختلفة لغرض تسهيل القراءة، وإيضاح المعاني.

٨-عملت فهارس للمراجع والموضوعات.

٩- أشرت إلى نهاية كل اللوحة من المخطوط ، ووضعت له شارحة في المتن، وفي جانب الأيمن من الصفحة أشرت إلى رقم اللوحة ، ووضعت بين قوسين [/].

١٠- من خلال دراستنا، وتحقيقنا نسبت وأضفت الأقوال والأشعار إلى قائلها ما وجدت الى ذلك سبيلاً .

١١- وثقت النصوص من المصادر التي نقل عنها المؤلف.

١٢- شرحت المفردات الغريبة، معتمداً في ذلك على المصادر اللغوية.

دراسات حول الموضوع

إنَّ هذا التراث الإسلامي الضخم الذي آل الينا من أسلافنا العِظام لجدير بأن نقف أمامه وِقفة كبيرة، وقد بات واجباً على الأمة الاسلامية في هذه الآوِنة أن تقوم بدورها في عرض وتقديم التراث القابع في الأدراج والمكتبات على هيئة مخطوطات، وذلك لطلاب العلم والمعرفة.

وإنَّ هذا البحث ليعد إطلالة على نافذة من نوافذ الفكر الإسلامي توضح لنا الشخصية الفكرية لإمام من أئمة الهدى، وذلك من خلال دراسة وتحقيق مخطوطة من مخطوطاته.

وذلك بإضافة هذا الجهد الذهني لذلك العلامة، إلى حصيلة التراث الفكري؛ لهذه الأمة، ويكتب له الخروج إلى الوجود.

فهذا المخطوط هو كتاب، من كتب تراثنا، يأتي شاهداً جديداً ينضم إلى الشواهد الكثيرة القائمة، على قيمة هذا التراث، ومكانته العلمية، من هنا تبرز أهمية إحياء تراث هذه الأمة، وهذا هو ما يبرز أهمية موضوع البحث الذي هو تحقيق ودراسة، مصدر مهم من مصادر تراثنا الفكري والعقدي؛ وهو كتاب " نور الحقيقة في إثبات المعرفة" لأبي محمد طاهر بن أحمد بن محمد القزويني.

نظرة عامة للموضوع

وإن كتاب القزويني هذا له أهمية كبيرة في معرفة الله تعالى، كما يقول القزويني:" فهذه اثني عشر باباً في ثلاثة أقسام من اتخذها مِرآة لقلبه ينظر فيها بعين لبِّه مجرداً من الأهواء والتقليد اطلع منها على غوامض المعرفة والتوحيد، وبالله المعونة ومنه الإرشاد إنه رؤف بالعباد(٧).

عاش أبو محمد طاهر بن أحمد القزويني في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس من الهجرة النبوية، في ظل الخلافة العباسية التي امتدت سلطانها زهاء خمسة قرون، وهي فترة دقيقة من حياة العالم الإسلامي، حُفِلت بأحداث مهمة، واتسمت بسمات خاصة في المجالات السياسية، والثقافية، والدينية.

وطاهر بْن أَحْمَدَ بْن مُحَمَّد القزويني، المعروف بالنجار (بهاء الدين أَبُو محمد القزويني) أديب، نحوي، صرفي، فاضل كامل متفنن وعلمه الذي كان يشتهر به العربية، لكنه صاحب حظ تام في سائر العلوم، وطبع قويم، وقوة نظر واستنباط ، وحسن جمع وتأليف وتصانيف سائرة ، ونظم ونثر، ولد بقزوين في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة (٤٩٣)، وهو شافعي المذهب، وتوفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة (٥٧٥).

وأثنى عليه بعض أهل العلم في عصره من الشيوخ والكهول على كتبه، واعترفوا بالتقدم والتبريز في المستنبط والمنقول؛ فكتب الإمام أَبُو سليمان أحمد بْن حسنويه الزبيري رحمه اللَّه على كتابه المعروف " بنور الحقيقة ونور الحديقة " حين فرغ من تأليفه وتبويبه وترصيفه:
كتابك نور للحقيقة لائح ... وفحواه نور للحديقة فائح

وكتب الإمام محمد بْن خليفة الصائغ رحمه اللَّه طالعت هذه الأجزاء فصادفتها على الحقيقة نور الحقيقة وتنزهت ونور الحديقة ....وتنزهت منها في جنة عالية.

---

(٧) القزويني: نور الحقيقة في إثبات المعرفة، ل١.

أسباب اختيار الموضوع

وقد دفعني لاختيار تحقيق هذا الكتاب جملة أسباب:

أولاً: الجانب العلمي: فإنَّ القيمة العلمية للكتاب تظهر جلية في توسع القزويني فيه من حيث بسط مواضعه، واستدلالاته لأصحاب المقولات في معرفة الله.

ثانياً: الجانب التاريخي: وهو القيمة التاريخية للكتاب، وهذا تراث فكري و تأريخي وعقدي لهذه الأمة، فأريد أحياء هذا التراث.

ثالثاً: كانت معرفة الله تعالى أول ما يجب على الإنسان في دينه، وكانت هذه المعرفة - لا تتم على الوجه الأكمل- إلا بمعرفة أسمائه، وصفاته، وأفعاله في خلقه، بين الأستاذ في كتابه هذه المعرفة.

رابعا: وأنَّ معرفة الله، هي زبدة دعوة الرسل، وخلاصتها، وعندها تلتقي جميعها مع اختلاف مناهجها وشرائعها؛ لأن جميع الرسل إنما أرسلوا ليعرفوا الناس ربهم، وخالقهم فيعبدوه في ضوء تلك المعرفة.

خامساً: إنَّ كتاب القزويني هذا له أهمية بالغة في معرفة الله سبحانه وتعالى، وكان الباحث على تأليفه؛ هو سبب اختلاف المسلمين حول معرفة الله.

القسم الأول: الدراسة.

ويتضمن من فصلين:

الفصل الأول: القزويني عصره وحياته ويتضمن من مبحثين:

المبحث الأول: عصره.

المبحث الثاني: حياته.

الفصل الثاني: مواقفه في الإلهيات ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: موقف القزويني من معرفة الله تعالى.

المبحث الثاني: الاستدلال على وجود الله.

المبحث الثالث: موقف القزويني من الصفات السلبية.

المبحث الرابع: موقف القزويني من صفات المعاني.

المبحث الخامس: موقف القزويني من الصفات الخبرية.

المبحث السادس: موقف القزويني من رؤية الله تعالى.

المبحث السابع: موقف القزويني من أفعال العباد.

المبحث الأول

عصر الإمام أبي محمد طاهر القزويني

تذكر المصادر العربية أنَّ الإمام أبا محمد طاهر القزويني؛ ولد بقزوين في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة(٤٩٣)، وتوفي في سنة(٥٧٥)؛ فقد عاش أبوطاهر القزويني فترة في القرن السادس، في ظل الخِلافة العباسية التي امتدت سلطانها أكثر زهاء خمسة قرون، وهي فترة دقيقة من حياة العالم الإسلامي، التي حفلت بأحداث مهمة، واتسمت بسمات خاصة في المجالات السياسية، والثقافية، والدينية، ربما كان لها تأثير في تكييف حياة أبي محمد واتجاهاته الفكرية، بالإضافة ما يتميز به الرجل – في جوهر شخصية – من مقومات ذاتية، وربما كان ثمة جدوى من بيان الظروف السياسية والثقافية والدينية للمنطقة التي عاش فيها الإمام القزويني.

فقد بدأت الخلافة العباسية من سنة ١٣٢هـ عندها انتهى حكم البيت الأموي، حتى سنة ٦٥٦هـ؛ عند ما سقطت بغداد في أيدي التتار في عهد هولاكو.

وقسم المؤرخون خلافة بني العباس إلى عصرين متميزين: حسب اصطلاح أغلب المؤرخين:

العصر العباسي الأول:

يمتد هذا العصر من نشأة الدولة سنة١٣٢هـ = ٧٤٩م) من بداية عهد السفاح إِلَى آخر أَيَّام الْخَلِيفَة الواثق سنة٢٣٢هـ = ٨٤٧ م)، ويعد العصر الذهبي للخِلافة العباسية؛ حيث تمتع الخلفاء بسلطتهم الدينية والدنيوية، والمحافظة على السلطان، وهيبة الدولة الإسلامية بكفاءة تامة، وهي مرحلة قوة وسيطرة الخلفاء(٨). ولم تظهر في عهدهم نفوذ الجند، والموالي، ولم تتقطع الدولة العباسية إلى دويلات وإمارات؛ بل بقي الخليفة نافذ السلطان، والدولة مهابة الجانب.

الْعصر العباسي الثَّانِي:

ويمتد هذا العصر من سنة٢٣٢، من بداية خلافة المتَوَكل وانْتهى بِسُقُوط الدولة العباسية تَمامًا على أَيدي التتار في سنة ٦٥٦هـ ، ويعبرون عَنهُ بعصر التدهور.

وأهم مميزات هذا العصر: ضعف الخلفاء، وسيطرة العسكريين على مركز الخلافة، و نشوء دويلات كثيرة نتيجة بروز قادة استقلوا في مناطقهم، واعترف بهم الخليفة، وظهور نتائج

---

(٨) مبارك بن محمد الميلي الجزائري (ت: ١٣٦٤هـ)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم: محمد الميلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، عام النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ج.٢ص. ١١٨، أبو سعيد المصري ، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، نقلا عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، د. س،ت،ط، ج.٣ص.٣.

الحضارة الإسلامية السابقة لهذا العصر، على شكل علوم، وعمران، ورفاهية (٩)، وفي هذا العصر يقول أحمد أمين: تمزقت المملكة كل ممزق، وأخذت الأقطار الإسلامية تستقل عن بغداد شيئاً فشيئاً، وأخذ يخشى ولاتها وأمراؤها بعضهم بأس بعض، ويضرب بعضهم بعضاً، فصار المملكة الإسلامية عبارة عن دولة متعددة مستقلة، وعلاقة بعضها مع بعض علاقة محالفة أحياناً وعداءٍ غالباً، وأصبح لكل دولة مالها وجندها، وإدارتها، وقضاؤها، وسكتها وأميرها، وإن اعترف بعضها بالخليفة في بغداد حيناً من الزمن فاعتراف ظاهري ليس له أثر فعلي(١٠).

ففي العصر الذي عاش فيه أبو محمد طاهر القزويني كانت الدولة الفاطمية تحكم بلاد المغرب ومصر(١١). والدولة الغزنوية تحكم بلا خرسان من بلاد فارس (١٢)**.**

وظهرت دولة المرابطين وهم بربر أبناء صحراء من قبيلة "لمتونة" وهي فرع من صنهاجة، سموا بالمرابطين؛ لأنهم تتلمذوا على يد عبد الله بن ياسين في الرباط الذي أنشأه للدرس، والعبادة في صحراء المغرب. وكانوا يعرفون (بالملثمين) أيضًا.

واستوطنوا صحراء المغرب لمشابهتها صحراء العرب، وامتدت دولته في المغرب من تونس شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى حدود السودان جنوبًا، اختطَّ مدينة مراكش، وجعلها عاصمة مملكته.

وأهمية موقع الملثمين: كانت بلاد المُلَثَّمين الممرَّ الوحيد بين الأَنْدَلُس وأواسط إفريقية؛ فكانت تسلكه القوافل على ثلاث طرق:

فالطريق الأول: وهو الطريق الساحلي على المحيط الأطلسي ينطلق من أغادير مارًا بنواكشوط حتى مصبِّ نهر السنغال.

---

(٩) العسيري، أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ط١، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦م، ج.١ص. ٢٠٣، وابن الثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التأريخ، ت: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- ط٢، ١٤١٥هـ، ج.٦ص.٩٤.

(١٠) ظهر الإسلام: أحمد أمين، ج.١ص.٩١.

(١١) الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي، أبو اليمن، مجير الدين (ت: ٩٢٨هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ت: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس – عمان سنة النشر، د.ت، ج.١ص.٣٠٦.

(١٢) الموسوعة التاريخية موجز مرتب مؤرخ لأحداث التاريخ الإسلامي منذ مولد النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - حتى عصرنا الحالي، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، ج.٣ص.٢٣٣.

والطريق الثَّانِي: وهو الأوسط فيمتد من أواسط المغرب إلى قلب الصحراء حيث بلدان مالي والنيجر.

والطريق الثالث والأخير: وهو طريق الصحراء يمتد من السودان الغربي إلى أواسط الصحراء شرقًا(١٣). ومن زعماء الملثمين(١٤):

١- يحيى بن عمر بن ابراهيم اللمتوني.

٢- ويسف بن تاشفين بن ابراهيم(١٥).

وإلى جانب الملثمين، ظهر الأتراك السلاجقة في الشرق، وقد أسس السلاجقة دولة تركية كبرى ظهرت في القرن الخامس للهجرة ، شمِل خراسان وما وراء النهر وإيران والعراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى. وقد ساند السلاجقة الخلافة العباسية في بغداد، ونصروا مذهبها السنّي، بعد أن أوشكت على الانهيار بين النفوذ البويهي الشيعي في إيران والعراق، والنفوذ العبيدي (الفاطمي) في مصر والشام. لقد استطاع طُغرُلْبَك الزعيم السلجوقي أن يسقط الدولة البُوَيْهِيَّة في عام ٤٤٧هـ في بغداد، وأن يقضي على الفتن، وأزال من على أبواب المساجد سب الصحابة، وقتل شيخ الروافض أبي عبد الله الجلاب لغلوه في الرفض.

لقد كان النفوذ البويهي الشيعي مسيطراً على بغداد والخليفة العباسي، فبعد أن أزال السلاجقة الدولة البُوَيْهِيَّة من بغداد، ودخل سلطانهم طُغْرُلْبَك الى عاصمة الخِلافة العباسية استقبله الخليفة العباسي القائم بأمر الله استقبالاً عظيماً، وخلع عليه خلعة سنية، وأجلسه الى جواره، وأغدق عليه ألقاب التعظيم، ومن جملتها أنه لقبه بالسلطان ركن الدين طغرلبك (١٦).

---

(١٣) العسيري، أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر،ج.١ص. ٢٤٥، ومبارك بن محمد الميلي الجزائري (ت: ١٣٦٤هـ)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم: محمد الميلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، عام النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ج.٢ص. ٢٨٠، والصلابي، عَلي محمد محمد ، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ج.١ص.٩.

(١٤) سموا الملثمين لأنَّ أجدادهم مِن حِمْيَر كانوا يتلثمون لشدة الحرِّ، ويذهب إلى هذا الرأي مَن ظنَّ إن أصل قبائل صنهاجة يرجع إلى الهجرات القديمة من المشرق، وقيل أن سبب هذه التسمية: إنَّ طائفة منهم أغارت على عدو لهم، فخالفهم إلى مواطنهم وهى خالية إلا مِن النساء والأطفال والشيوخ، فأمر الشيوخُ النساءَ بأن يرتدين لباسَ الحرب ويتلثَّمَنَ، ففر الأعداء وهكذا اتخذوا اللثام سنة يلازمونه وارتقى عندهم إلى مستوى رفيع في حياتهم وأعرافهم، ومما قيل في اللثام:

قَوم لهم درك العلا في حمير ... وإن انتموا صنهاجة فهمُ همُ

لما حَوَوْا إحْرَازَ كُلَّ فضيلة ... غلبَ الحياءُ عليهمُ فتلثَّموا.

الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين ج.١ص. ١٠.

(١٥) مبارك بن محمد الميلي الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج.٢ص. ٢٨٠.

(١٦) الصلابي، علي محمد محمد ، الدولة العُثمانية - عَوَامل النهُوض وأسباب السُّقوط، ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، ج.١ص. ٢٨.

وأما الإقليم الذي كان يعيش فيه القزويني وهو: بلدة قزوين، من بلاد إيران وما وراء النهر(١٧) فقد كانت تحت سلطان الدولة الغزنوية حتى سنة ٤٢٩، ثم دولة السلجوقيين بعد ذلك؛ إذ كان يحكمها أول أمرها السلطان محمود سُبُكْتِكِينَ الغزنوي(١٨)، ثم أَوْصَى بِالْمُلْكِ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ بِبَلْخَ، وَكَانَ أَصْغَرَ مِنْ مَسْعُودٍ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُعْرِضًا عَنْ مَسْعُودٍ لِأَنَّ أَمْرَهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ نَافِذًا، وَسَعَى بَيْنَهُمَا أَصْحَابُ الْأَغْرَاضِ، فَزَادُوا أَبَاهُ نُفُورًا عَنْهُ فَلَمَّا وَصَّى بِالْمُلْكِ لِوَلَدِهِ مُحَمَّدٍ تُوُفِّيَ، فَخُطِبَ لِمُحَمَّدٍ مِنْ أَقَاصِي الْهِنْدِ إِلَى نَيْسَابُورَ، وَكَانَ لَقَبُهُ جَلَالَ الدَّوْلَةِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَعْيَانُ دَوْلَةِ أَبِيهِ يُخْبِرُونَهُ بِمَوْتِ أَبِيهِ وَوَصِيَّتِهِ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَيَسْتَدْعُونَهُ، وَيَحُثُّونَهُ عَلَى السُّرْعَةِ، وَيُخَوِّفُونَهُ مِنْ أَخِيهِ مَسْعُودٍ، فَحِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ سَارَ إِلَى غَزْنَةَ، فَوَصَلَهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَاجْتَمَعَتِ الْعَسَاكِرُ عَلَى طَاعَتِهِ، وَفَرَّقَ فِيهِمُ الْأَمْوَالَ وَالْخِلَعَ النَّفِيسَةَ، فَأَسْرَفَ فِي ذَلِكَ وبهذا اجْتَمَعَ لَهُ مُلْكُ خُرَاسَانَ، وَغَزْنَةَ، وَبِلَادِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ، وَسِجِسْتَانَ، وَكِرْمَانَ، وقزوين، وَمُكْرَانَ، وَالرَّيِّ، وَأَصْبَهَانَ، وَبَلَدِ الْجَبَلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ، وَخِيفَ جَانِبُهُ. لكن في سنة ٤٢٩هـ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَخَلَ رُكْنُ الدِّينِ أَبُو طَالِبٍ طُغْرُلْبَكُ مُحَمَّدُ بْنُ مِيكَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقَ مَدِينَةَ نَيْسَابُورَ مَالِكًا لَهَا (١٩). ومما يل على أنَّ الامام عاش في عصر الدولة العباسية ما قال في كتابه " نور الحقيقة في إثبات المعرفة" ويقول: فإنَّا ربما نعلم مثلاً وجود شخص من أولاد العباس؛ وهو اليوم خليفة ببغداد، ونعلم أنَّه حي، عالم، قادر، إلى معظم الصفات(٢٠). وهذا يدل على أن الامام أبو طاهر عاش في عصر الدولة العباسية. وهذا العصر مما كان له أكبر الأثر على تكوينه وسعة فكره.

---

(١٧) ما وَراء النهر: يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، وما كان في غربيّة فهو خراسان وولاية خوارزم، وخوارزم ليست من خراسان إنما هي إقليم برأسه، وما وراء النهر من أنزه الأقاليم وأخصبها وأكثرها خيرا وأهلها يرجعون إلى رغبة في الخير والسخاء واستجابة لمن دعاهم إليه. الرومي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ط٢، ١٩٩٥م، ج.٥ص. ٤٥.

(١٨) محمود بن سبكتكين: هو أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين، الملقب أولاً سيف الدولة ، ثم لقبه الإمام القادر بالله لما سلطنه بعد موت أبيه " يمين الدولة وأمين الملة " واشتهر به (ت:٤٢١هـ)، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، ت: إحسان عباس، دار صادر – بيروت- ط، ١٩٠٠ م،ج.٥ص. ١٧٥.

(١٩) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م،ج.٧ص. ٧٣٣- ٧٨٤.

(٢٠) القزويني، نور الحقيقة في إثبات المعرفة ل١٥.

المبحث الثاني
حياة الإمام أبي محمد القزويني

يتناول هذا المبحث حياة القزويني في النقاط التالية، وهي على الترتيب:

اسمه، ولقبه، وكنيته، ومولده، ونشأته، وموطنه، وشيوخه، ورحلاته العلمية، إنتاجه العلمي، وطريقته، وثناء العلماء عليه، ووفاته.

أولاً: اسمه: اتفقت معظم كتب التراجم التي ترجمت للإمام طاهر القزويني على أنَّ اسمه: طاهر بْن أَحْمَدَ بْن مُحَمَّد القزويني، المعروف بالنجار (بهاء الدين أَبُو محمد القزويني) أديب، نحوي، صرفي، فاضل كامل متفنن، وعلمه الذي كان يشتهر به العربية، لكنه صاحب حظ تام في سائر العلوم، وطبع قويم، وقوة نظر واستنباط ، وحسن جمع وتأليف وتصانيف سائرة ، ونظم ونثر فائقين، وقد وصف ـ رحمه اللَّه تعالى- تحصيله للعلوم وتدرجه فيها في رسالة له موسومة "برسالة بث الشكوى"(٢١)؛ فقال: أنفقت شطراً من عنفوان العمر على حفظ القرآن؛ حتى أتقنت تلاوته، وأشربت في قلبي حلاوته، مشارك في عدة علوم(٢٢) .

ثانياً: لقبه: لقد اشتهر العلامة " طاهر بن أحمد بن محمد" بألقاب عدة منها: "القزويني" نسبة إلى موطنه قزوين، و"بهاء الدين"(٢٣) لاستئناسه به وورعه وتقواه.(٢٤) و"بالنجار"(٢٥) ولم تحدثنا المراجع عما إذا كان هذا اللقب لحق به من اشتغاله، هو بالنجارة، أو بقي له من أحد أبائه.

ثالثا: كنيته:

أما كنية الإمام، فتذكر المصادر أنه يكني بـ " أبي محمد " وهذا ما ورد في كتب التراجم التي ترجمت له (٢٦).

---

(٢١) لم أجدها.

(٢٢) الرافعي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم القزويني (ت: ٦٢٣هـ)، التدوين في أخبار قزوين، ت: عزيز الله العطاردي، ط، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، ج.٣ص.٩٦، وكحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، د. س، ت، ط ، ج.٥ص.٣٣.

(٢٣) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت- لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ ج.١ ص.٣٥.

(٢٤) عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج.٥ص.٣٣.

(٢٥) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت- لبنان، د. س، ت، ط ، ج.١٦ص.٢٢٥.

(٢٦) المصدر السابق، ج.١٦ص.٢٢٥، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، ج.٥ص.٣٣، والرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج.٣ص.٩٦، والرومي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم

رابعا: مولده ونشأته وموطنه:

تذكر المصادر أنَّ أبا طاهر بن أحمد القزويني؛ ولد بقزوين في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة (٤٩٣)، وتوفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة (٥٧٥)(٢٧)، لذلك نستطيع تحديد هذا التأريخ تحديداً دقيقاً وأنه عاش في أواخر الخامس الهجري، إلى ربع النصف الآخر من القرن السادس الهجري، وهذا على وجه التحديد، حسب ما ترجمت له التأريخ، إلا أنَّ صاحب معجم المؤلفين عمر كحالة قال: إنه توفي في سنة (٧٥٦) الهجري أي في القرن الثامن، لكن ذكر عبدالكريم الرافعي القزويني (ت: ٦٢٣هـ) في التدوين في أخبار قزوين أن أبا حامد عَبْد اللَّهِ بْن أبي الفتوح بْن عمران أبو حامد القزويني(٥٨٥هـ) سمع التصحيف والتحريف لأبي أَحْمَد العسكري من أبي محمد طاهر بْن أحمد النجار سنة ثمان وستين وخمسمائة(٢٨).

ومما يؤكد أنه قد عش في القرن السادس، أنه ذكر في آخر كتابه (سراج العقول) تأريخ إتمامه بقوله: وقد تم الفراغ من تصنيف هذا الكتاب صباح الجمعة لسبع مضين من شهر الله المحرم سنة اثنين وسبعين وخمسمائة(٥٧٢)(٢٩). وهذا هو الراجح.

فقد ذكر صاحب التدوين أن الامام ولد في قزوين ونشأ فيها، وتعلم في مدارسها، وعلى أيدي علمائها. كما تحدث عن نفسه فقال: أنفقت شطرا من عنفوان العمر على حفظ القرآن حتى أتقنت تلاوته وأشربت في قلبي حلاوته، فجذبني إلى تعلم القراءات وتفهم الوقوف، والتلقن لحسن الأداء، بمعرفة الحروف في الإخفاء والإبداء، وتعرف المتشابهات وتعدد الكلم والآيات.

ثم ترقبت إلى علم العربية فتحفظت الكتب المتداولة كالألفاظ والفصيح، وكتب الصفات، وعدة من المصنفات وهلم جرا... إلى مَا فوقها من الكتب المبسوطة كأدب الكاتب والإصلاح، وما يجانسهما من المجلدات الصحاح (٣٠).

كذلك قرأ العديد من الكتب المبسوطة في علم الكلام حتى صار متكلما بارعا، ومن آثاره في هذا المجال" كتاب تنزيه الحق وبدء الخلق" و" سراج العقول في منهاج الأصول" و"نور الحقيقة في

الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس، ط١٤١٤،١هـ - ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، د. س، ت، ط ، ج.٤ص.١٤٥٦.

(٢٨) الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج.٣ص.١٣٨.

(٢٩) القزويني، أبو طاهر بن أحمد بن محمد القزويني، سراج العقول في منهاج الأصول، ت: مصلح أحمد نبي، رسالة ماجستير في كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، ص٣٦.

(٣٠) الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج.٣ص. ٩٧.

في إثبات المعرفة"، كما قال صاحب معجم المؤلفين عمر كحالة: إنَّ طاهر بن احمد بن محمد القزويني، ويعرف بالنجار (بهاء الدين، أبو محمد) أديب، نحوي، صرفي، مشارك في عدة علوم.

ومما يدل على مكانة القزويني، ما قاله زرير بْن علي الصيقلي الأبهري أَبُو شهاب الأديب، كان من أهل الأدب يعلم الناس العربية ويحفظها، وكان صاحب نثر ونظم؛ حيث كتب علي " كتاب نور الحقيقة ونور الحديقة " للإمام أبي محمد النجار حين فرغ من تأليفه وكان حاضراً بقزوين حينئذ: لما قرأت هذا الكتاب ونظرت فيه قلت لله در مصنفه مَا أعذب نفثات فيه، وأنشدت في وصف ألفاظه ومعانيه.

نور الحقيقة بدع في الأعاجيب ... مؤلف بين تنقيح وتهذيب

مَا رتبت مثله في الكتب قاطبة ... خواطر العجم لفظا والأعاريب

فيه بيان لأحكام محققة ..... بانت معانيه من لغو وتطنيب

لله در بها الذين ذي فطن ..... مَا أظهر الحق من شك أساليب(٣١).

قزوين: مدينة كبيرة مشهورة تقع على سفوح البرز بإيران غربي مدينة طهران، وهي عامرة في فضاء من الأرض، طيبة التربة واسعة الرقعة كثيرة البساتين والأشجار نزهة النواحي والأقطار، بنيت على وضع حسن لم يبن شيء من المدن مثلها.

وهي مدينتان: إحداهما في وسط الأخرى، والمدينة الصغرى تسمى شهرستان، لها سور وأبواب، والمدينة الكبيرة المحيطة بها. ولها أيضاً سور وأبواب، والكروم والبساتين محيطة بالمدينة العظمى من جميع الجوانب، والمزارع محيطة بالبساتين، ولها واديان: أحدهما وادي درج والآخر وادي اترك ، وأول من فتحها البراء(٣٢) ابن عازب الأنصاري.

ينسب إليها عدد كبير من العلماء؛ منهم الشيخ أبو بكر المعروف بشابان، كان شيخاً عظيم الشأن، وأبو حاتم محمود بن الحسن القزويني. كان فقيهاً أصولياً، وكان من أصحاب القاضي أبي الطيب طاهر الطبري، له كتاب في حيل الفقه مشهور، والشيخ أبو القاسم بن هبة الله الكموني،

---

(٣١) الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج.٣ص. ٣١.

(٣٢) وَهُوَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ جُشَمِ بْنِ مَجْدَعَةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ الأنصاري ، تُوُفِّيَ زَمَانَ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ. الشيباني، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ج.١ص.٣٦٢، والأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت: ٤٣٠هـ)، معرفة الصحابة، ت: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض- ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، ج.١ص.٣٨٤.

كان عالماً عابداً، وأبو محمد بن أحمد النجار، كان عالماً فاضلاً أديباً فقيهاً أصولياً ذا فهم مستقيم وذهن، وقاد، والشيخ أبو القاسم محمد بن عبد الكريم الرافعي. كان عالماً فاضلاً، ورعاً بالغاً في النقليات كالتفسير، والحديث، والفقه، والأدب. وغيرهم كثير (٣٣).

خامسا: ثقافته وإنتاجه العلمي:

لقد عاش القزويني في عصر من أهم عصور التمدن الإسلامي؛ من حيث الحضارة والثقافة، وكثرة المدارس والمؤلفات والأفكار، وهذا فضلاً عن أنه ينسب إلى بلدة قزوين التي ينتمي إليها خلق كثير من أئمة المسلمين في شتى فروع العلم والمعرفة؛ لذلك وجد أبوطاهر القزويني التربة الخصبة، والبيئة الصالحة، فدرس وتعلم وقرأ، وكتب، وحدث حتى صار متكلماً بارعاً، وأديباً ونحوياً، وله مشاركات في عدة علوم(٣٤). هذا بالنسبة لثقافته.

وأما من ناحية إنتاجه وآثاره فلم تذكر المصادر التي أرخت للإمام القزويني إلا يسيراً من آثاره؛ هي كما يأتي:

أولاً: كتاب تنزيه الحق وبدء الخلق، من كلام الشيخ الأجل العالم الزاهد بهاء الدين مجد الإسلام شرف الأفاضل أبي طاهر بن أحمد بن محمد القزويني، مخطوط بدار الكتب التركية، تحت رقم ١٢٦٢" علم الكلام"، عدد أوراقها ٢٢٢لوحة ولكل صفحة فيه ٢٣سطراً، ويوجد على الغلاف أسماء معظم كتبه. وهي مجموعة من عدة كتب كلامية وصوفية:

١- كتاب تنزيه الحق وبدء الخلق: ١٠لوحة.
٢- كتاب سراج العقول في منهاج الأصول:١٢٥لوحة.
٣- كتاب الياقوت في تسبيح الملك والملكوت: ١٨لوحة.
٤- كتاب مصفاة الصفات والرد على النفاة: ١٢لوحة.
٥- كتاب نور الحقيقة في إثبات المعرفة:٢٥لوحة.
٦- كتاب حل العيبة عن حال الغيبة:٧لوحة.
٧- كتاب شرح تسبيح الصوفية وأسرارهم: ٢٠لوحة.
٨- كتاب شرح تسبيحة الأبدال ومعنى الجلال والجمال:٦لوحة.
٩- كتاب أسئلة العجيبة وأجوبة الغريبة:١٥لوحة.
١٠- رسالة الواوية:١٠لوحة، تم المجموع.

---

(٣٣) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت:٦٨٢هـ) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، د.س، ت، ط ، ص.٤٣٤.

(٣٤) عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج.٥ص.٣٣، والرافعي، التدوين في أخبار قزوين،ج.٣ص.٩٧.

وأما كتب التي ذكره ضمن كتابه " سراج العقول في منهاج الأصول"؛ فهي عبارة عن:

١- غـايــة التــصريف.

٢- لب الألباب في مراسم الأعراب.

٣- مسالك البحث في مدارك البعث.

٤- بث الشكوى. كذا نسبه إليه عمر كحالة في معجم المؤلفين (٣٥) . وكلها مخطوطات في مكتبة آيا صوفية في تركيا، إلا سراج العقول في منهاج الأصول، حققه: مصلح أحمد نبي.

سادساً رحلاته العلمية:

إنَّ طاهر بن أحمد بن محمد المعروف بالنجار أبو محمد القزويني، فاضل كامل متفنن؛ كان له بكل فن معرفة، وله حظ تام في سائر العلوم، وقوة نظر واستنباط، وحسن حظ وافر بجميع تأليف وتصانيف سائر العلوم.

وقد وصف حاله في تحصيله للعلوم وتدرجه فيها بقوله : أنفقت شطراً من عنفوان العمر على حفظ القرآن حتى أتقنت تلاوته، وأشربت في قلبي حلاوته.

فجذبني إلى تعلم القراءات وتفهم الوقوف، والتلقن لحسن الأداء بمعرفة الحروف في الإخفاء، والإبداء، وتعرف المتشابهات، وتعدد الكلم والآيات، ثم ترقيت إلى علم العربية فتحفظت الكتب المتداولة؛ كالألفاظ والفصيح، وكتب الصفات، وعدة من المصنفات، وهلم جرا إلى مَا فوقها من الكتب المبسوطة كأدب الكاتب والإصلاح، وما يجانسهما من المجلدات الصحاح.

ثم أقبلت بهمتي إلى تحفظ الأشعار من دواوين المتقدمين، والمخضرمين، والمحدثين، والعصريين، حتى انتهيت منها إلى زهاء مائتي ألف بيت، وكنت في خلال ذلك أشد من علم النحو طرفاً وأعلق من غوامضه طرفاً، فحظيت منه بتلويحات لا تقنع، ونتيفات لا تشبع.

ورأيت بالرَّيِّ(٣٦) الشيخ العلامة أبا القاسم محمود بْن عمر الزمخشري، واستفدت منه وسمعت من تصانيفه عليه، وقرأت هناك كتب "الكافي في العروض والقوافي" للخطيب

---

(٣٥) ينظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج.٥ص.٣٣، والباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت: ١٣٩٩هـ)،هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ، ج.١ص.٤٣١، والرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج.٣ص.٩٦.

(٣٦) مدينة الرّيّ وهي في الإقليم الرابع، وهي مدينة جليلة، وأهلها أخـلاط من النـاس، من الـفرس والـعرب والأتراك، واسمها المهدية، لأن المهدي نزلها في خلافة المنصور، وافتـتحها قرظة بن كعــب الأنصـــاري، في خلافة عمر بن الخطاب، سنة أربع وعشرين. ويشرب أهلها من عيون وأنهار عظام تأتي من بلاد الديلم، وهي كثيرة الأشجار. المنجم، إسحاق بن الحسين المنجم (ت: ق ٤هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ، ص.٦٧.

التبريزي، على الشيخ الزاهد أحمد بْن محمد التيبري - رحمه اللَّه مع سر الأدب والمصادر للقاضي الزوزني، وقرأت السامي في الأسامي، والهادي للشادي على فتى من تلامذة الشيخ أحمد بْن محمد الميداني وهو أَبُو الفتوح بْن الحسن بْن سعد الكاتب، وكان قد قرأهما على المصنف.

ثم رأيت بتستر(٣٧) القاضي الإمام أبا بكر الأرجاني - رحمه اللَّه شيخا قد خنق التسعين، وقد فاق الأعشيين بشعره، وأربى على الوزير بْن بنتره فتجبت من فضله القرب، وأحكمت عناج الشعر عنده والكرب، هذه علوم الأدب أنانين وقوانين كلام العرب.

وأما مَا سواها نحو: غريبي القرآن والحديث، وعلم الفقه والمواريث، وغرر التفاسير، وعلم الوعظ، والتذكير ومسائل الخلاف، وصحاح المسانيد وعلم الأصول، ودلائل التوحيد، وطريق مشايخ الصوفية وحل رموزهم وإشاراتهم الخفية.

فلي بحمد اللَّه بكل فن منها معرفة، وفي كل قدر من ألوانها مغرفة انشد بزوزها عند أصحابها، وأجلو عرائسها على خطابها(٣٨).

سابعاً: مذهبه في العقيدة:

إنَّ أبا محمد طاهر القزويني، كان على مذهب الأشعري، وإن لم يكن واضحاً بهذا كوضحه بالتصوف، إلا أنه يقتبس في كلامه وإسناده من علماء متكلمي الأشاعرة في كثير من الأمور، مما يظهر أنه أشعري المذهب كقوله هذا" اختيار شيخنا أبي الحسن. كذلك في مسألة التكفير في من نفى صفة من صفات الله عز وجل بقوله: وقد نفى القاضي أبو بكر(٣٩) منا صفة البقاء. بإضافة نسبة أبو بكر أنفسهم باعتبار أنه على مذهب الأشعرية(٤٠).

ثامنا: تصوفه: من خلال دراستي له؛ يبدو لي أنه ينتسب إلى الصوفية، ويظهر هذا في أمــور:

---

(٣٧) تستر: مدينة مشهورة قصبة الاهواز، الماء يدور حولها. بها الشاذروان الذي بناه شابور، وهو من أعجب البناء وأحكمها، امتداده يقرب من ميل حتى يرد الماء إلى تستر، وهي صنعة عجيبة مبنية بالحجارة المحكمة وأعمدة الحديد ملاط الرصاص. وإنما رجع الماء إلى تستر بسبب هذا الشاذروان، وفتحها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، وبينها وبين مدينة سابور ثمانية فراسخ. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر – بيروت لبنان، ص ١٧٠، والحِميري، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت،٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م، ص.١٤٠.

(٣٨) الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج.٣ص. ٩٧.

(٣٩) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، وتوفي آخر يوم السبت، في سنة ثلاث وأربعمائة. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة، ١٩٠٠م، ج.٤ص.٢٦٩.

(٤٠) ينظر: القزويني، أبو طاهر أحمد بن محمد القزويني، سراج العقول في منهاج الأصول، ص. ١٨٨.

اهتمامه بالتصوف، حيث ألف رسائل خالصة في التصوف، وتتنوع موضوعاتها الصوفية، وما زال كلها مخطوطة غير كتاب سراج العقول في منهاج الأصول(٤١)، وهي:

أ- كتــاب الياقــوت في تسـبيح الملـك والملـكـوت: ١٨لـوحـة.

ب- كــتــاب حل العيـبـة عن حــال الغيـــبة:٧لوحة.

ت- كتاب شرح تسبيح الصوفية وأسرارهم: ٢٠لوحة.

ث- كتاب شرح تسبيحة الأبدال ومعنى الجلال والجـمــال:٦لـوحــة.

كما تتجلى صوفيته في تعظيمه لشيوخ الصوفية، والاستشهاد بأقوالهم مستحسناً لها، وكذلك استخدامه لمصطلحاتهم.

تاسعاً: شيوخه :

١- الشيخ العلامة أبا القاسم محـمود بْن عمر الزمخـشري رحـمـه اللَّه.
٢- أحمد بْن محمد الميداني وهو أَبُو الفتوح بْن الحسن بْن سعد الكاتب.

٣- القاضي الإمام أبا بكر الأرجاني رحمه اللَّه (٤٢).

٤- الســيد أبو علي الحــسن بْن علي بْن الحــسين الحــسني الغزنوي.

٥- أبــو القاسم عَبْد الملـك بْن أحــمد بْــن مـحــمـد بْن الـمــعـافى.

٦- الشيـخ الزاهد أحمد بـْن محـمد التيري.

٧- أبو إسحاق إبــراهيم الشــحــاذي(٤٣).

٨- أبو الحــسن إســماعــيل بن الحــسن ابــن عَبـْد اللَّهِ القـصــرى.

٩- أبو المعالي إبراهيــم بْنُ مُحَــمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْـنِ نفيــس الأنصــاري.

---

(٤١) حققه: مصلح أحمد نبي، رسالة الماجستير.

(٤٢) أحْمد بن مُحَمَّد بن الْحُسَيْن بن عَليّ الشِّيرَازِيّ الحاجي أَبُو بكر بن أبي عبد الله هُوَ القَاضِي نَاصح الدّين الأرجاني، و ولد في حدود سنة ستين وأربعمائة، وتوفي ٥٤٤هـ ، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقيى (ت: ١٠٨٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، ج.٤ ص.١٣٦، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج.٧ص.٢٤٣، و السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط٢، ١٤١٣هـ، ج١.ص. ٦٢١.

(٤٣) هو أبو إسحاق إبراهيم الشحاذي، وتوفي في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة في إحدى جماديها. الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج.٢ص. ١١٥.

ويحكي القزويني عن مشايخه قائلاً: " رأيت بالرَّيِّ الشيخ العلامة أبا القاسم محمود بْن عمر الزمخشري واستفدت منه وسمعت من تصانيفه عليه، وقرأت هناك كتب الكافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي على الشيخ الزاهد أحمد بْن محمد التييري - رحمه اللَّه - مع سر الأدب والمصادر للقاضي الزوزني؛ وقرأت السامي في الأسامي، والهادي للشادي على فتى من تلامذة الشيخ أحمد بْن محمد الميداني؛ وهو أَبُو الفتوح بْن الحسن بْن سعد الكاتب وكان قد قرأهما على المصنف.

ثم رأيت بتستر القاضي الإمام أبا بكر الأرجاني رحمه اللَّه شيخا قد خنق التسعين وقد فاق الأعشيين بشعره، وأربى على الوزير بْن بنتره فتجبت من فضله القرب، وأحكمت عناج الشعر عنده والكرب، هذه علوم الأدب أنانين، وقوانين كلام العرب.

وأما مَا سواها نحو غريبي القرآن والحديث، وعلم الفقه والمواريث، وغرر التفاسير، وعلم الوعظ والتذكير، ومسائل الخلاف، وصحاح المسانيد، وعلم الأصول، ودلائل التوحيد، وطريق مشايخ الصوفية وحل رموزهم وإشاراتهم الخفية. ومنهم: أبو القاسم عَبْد الملك بْن أحمد بْن محمد بْن المعافى، والسيد أبو علي الحسن بْن علي بْن الحسين الحسني الغزنوي، وأبو الحسن إسماعيل بن الحسن ابن عَبْد اللَّهِ القصرى، وأبو المعالي إبراهيم بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ نفيس الأنصاري.

عاشراً: ثناء العلماء عليه:

وقد أثنى عليه بعض أهل العلم في عصره من الشيوخ والكهول، واعترفوا له بالتقدم والتبريز في المستنبط والمنقول، فكتب الإمام أَبُو سليمان أحمد بْن حسنويه الزبيري- رحمه اللَّه على كتابه المعروف بنور الحقيقة ونور الحديقة، حين فرغ من تأليفه وتبويبه وترصيفه:

كتــابــك نــور للــحقيـقة لائح .... وفـحواه نور للـحديقة فـائح

وذكرك في شرق البلاد وغربها .... يسير به بالخير غاد ورائح

كتب الإمام محمد بْن خليفة الصائغ رحمه اللَّه طالعت هذه الأجزاء فصادفتها على الحقيقة، نور الحقيقة وتنزهت ونور الحديقة وتنزهت منها في جنة عالية وتسترت من الشبه بجنة واقية فما ترك صاحبها صدعا في الفؤاد إلا شعبه، ولا انكشفت غمة إلا كان سببه، ففيض الإله على خاطر ينظم مثل تلك الحقائق، وأيدت بالتوفيق يد يكتب مثل تلك الدقائق. وهي وإن انخرطت ألفاظها في أصغر عقد واندبحت في أقرب حد، فإن ورائها نكتا خفايا وأسرارا للمعاني خبايا، وقى اللَّه ساحة صاحبها عادية الحدثان وبقاه غرة في جبهة الزمان(٤٤).

---

(٤٤) الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج.٣ص٩٩- ١٠١.

وكتب الإمام أَبُو النجيب عَبْد الرحمن بْن محمد الكرجي: نظرت في هذه الأجزاء البديعة الأسلوب الآخذة بمجامع القلوب. فقلت:

طالعتها فوجدتها غوث الورى عند الحقيقة .... يهدى العقول الحقيقة إلى الحقيقة في المجازات الدقيقة.

كالوحي أظهر نوره حق الحقيقة للخليقة ...... فيها أزاهير الرشاد كأنها حقا حديقة

أوراقها ورق المعارف نورها نور الحقيقة ...... تحوي نور العلم في أبوار روضتها الأنيقة

وكتب الإمام أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرحمن الوراييني

هذا الكتاب الذي يبقى لصاحبه .... ذكر يسار به في البدو والحضر

مَا تستنير النجوم الزهر في فلك .... إنارة الحق من ألفاظه الغرر

نور الحقيقة من ذراها ساطع .... يهدى النهى في ظلمة التقليد

يبقى بها الدين عمر بهائها .... وبهاؤها يبقى على التأبيد

ليحيل قيد المشكلات بلفظه .... ويشد طوق ثنائها في الجيد(٤٥).

حادي عشرا : وفاته:

اختلفت كتب التراجم التي أرخت للقزويني في سنة وفاته؛ حيث ذكر حاجي خليفة، في كشف الظنون أنه توفي في سنة ست وسبعين وخمسمائة(٥٧٦هـ)(٤٦). وذكر الصفدي في الوافي بالوفيات، وشهاب الدين الرومي في معجم الأدباء، أنه توفي في سنة ثمانين وخمسمائة ،(٥٨٠هـ)(٤٧). وذكر عمر كحالة في معجم المؤلفين، أنه توفي في سنة ست وخمسين وسبعمائة(٧٥٦هـ)(٤٨). والراجع أنه توفي في سنة خمس وسبعين وخمسمائة(٥٧٥هـ)؛ وذلك لاتفاق أغلب المصادر على ذلك، حتى ونص عليه الرافعي في التدوين في أخبار قزوين، أنه توفي في سنة (٥٧٥هـ)(٤٩).

---

(٤٥) المصدر السابق، ج.٣ص.٩٩-١٠١.

(٤٦) الحاج خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية،١٩٤١م، ج. ٢ص. ١٠٢١.

(٤٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج.١٦ص.٢٢٥.و الرومي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس،ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ج.٤ص.١٤٥٦.

(٤٨) عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج.٣ص.٣٣.

(٤٩) الرافعي، التدوين في أخبار قزوين، ج٣.ص. ١٠٤.

الفصل الثاني

مواقف القزويني في الإلـهيات

المبحث الأول
موقف القزويني من معرفة الله تعالى

اعلم أنَّ الحق المطلق هو الله – جلَّ جلاله والصدق المحض معرفته والإقرار بوحدانيته، والمعرفة عند أئمة الأصول: هي العلم بالله تعالى وصفاته. وعند مشايخ التصوف: المعرفة صفة من عرف الحق بأسمائه، وصفاته، ثم صدق لله في جميع أفعاله، وأقواله، وأحواله، وانقطع إليه بكلية حتى ينسى سواه، وانمحى عن قلبه إلا، فصار به عارفاً وعن غيره أجنبياً(٥٠).

استدل القزويني على معرفة الله تعالى وصفاته بما يأتي:

أولاً: بالأدلة العقلية: يقول القزويني: من الدلائل العقلية اجمع المسلمون قاطبة على كون معرفة الله تعالى واجبة، وشواهد الشرع دالة على وجوبها كقوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللـَّهُ ﴾ (٥١)، واجتمعت كآفة الأمم على أنَّه غير محسوس ولا مشاهد اليوم، واتفقوا على أنَّ مالا يكون محسوساً ضرورياً ولا بديهياً كان العلم به لا محالة عقليّاً نظريّاً(٥٢).

ثانياً: النظر في الأنفس: قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(٥٣)، ويقول القزويني: فيتأمل قامته وانتصابها، وأعضاه ومن أصلها، ويديه كيف يبطشان، ورجليه كيف تسعيان، وأصابعه كيف تنقبض وتنبسط، ويتفكر في أظفاره وهيئتها، فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه.

ثالثاً: بدليل العناية والاختراع: ويقول : ليبدأ الناظر بالقصد إلى معرفة قدرته المستقلة: بإبداع العجائب الصالحة لاختراع الغرائب فينظر أنَّ الله تعالى كيف أخرج النار المحرقة من الشجر الأخضر، ومن الحديد والحجر، وكيف أخرج السنبلة المرصعة من الحبة، والذهب والفضة من حجارة، والعنبر من دابة، والعسل من ذبابة، والإنسان من نطفة، ويتأمل كيف أرانا صورتنا في المرآة ولسنا فيها، ولا لون الحديد زائل عنها وكيف أرانا الصورة والعجائب في المنام وحواسنا راكدة فهذه وأشباهها تدل على كمال قدرة الله وأنه على كل شيء قدير(٥٤).

رابعاً: بدليل التمانع: ويقول: وإلى معرفة وحدانيته: من طريق الصنع أيضاً، وهو إنا نشاهد أمور العالم مستقيمة جارية على النظام الحسن، فلو قدر للعالم إلهان لجاز في العقل تقدير خلافهما

---

(٥٠) سراج العقول في منهاج الأصول، ص ١٣٧.

(٥١) سورة محمد: ١٩.

(٥٢) القزويني، نور الحقيقة في إثبات المعرفة ل٢.

(٥٣) سورة الذاريات:٢١.

(٥٤) المصدر السابق ل٤.

في تدبير المملكة، ومتى تخالفا اختلَّ نظام السموات، والأرض، ومن فيهنَّ؛ لأنَّ أحدهما يمكن أن يريد مثلاً طلوع الشمس من المشرق، والأخر يريد طلوعها من المغرب؛ فبالضرورة يبطل أحد المرادين، ويعجز الواحد منها لاستحالة طلوع الشمس الواحدة من المشرق، والمغرب معاً في وقت واحد، فحينئذ مَنْ حصل مراده كان إلهاً، ومن عجز كان مخطأ عن رتبة الإلهية(٥٥).

خامساً: بحدوث العالم: ويقول القزويني: ثم يقصد إلى معرفة قدمه وبقائه: وذلك أيضاً يتحقق العلم بحدوث العالم، وافتقاره إلى محدث وأنَّ المحدث لو كان أيضاً حادثاً لافتقر بحدوثه إلى محدث أخر يحدثه، وهلم جرَّاً حتى تسلسل وما يتسلسل لا يحصل، فيعرف ذلك يقيناً أنَّ الإله قديم دائم الوجود مستمر البقاء، لا أول لوجوده، ولا أخر لبقائه إذ لو جاز عدم القديم لجاز في العقل تقدير إعادته ثانياً كان من حيث تقدير الإعادة حادثاً، ومن عدم الأزلية قديماً فيلزم أن يكون الشيء الواحد حادثاً قديماً وهو محال قطعاً وبهذا يتحقق أن ما ثبت قدمه استحال عدمه(٥٦).

بعض أدلة نفاة المعرفة فقد شرحه القزويني.

منها: قوله تعالى:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾، على أنَّ بعض المفسرين ذكر أنَّ (الهاء) راجع إلى ضمير ما في قوله:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾(٥٧)، يعني أنَّ الله يعلم ما قبل الملائكة من الأمور الماضية، ويعلم ما خلفهم من الكواكب المستقبلة، وهم لا يحطون بذلك علماً كما قال في موضع أخر:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (٥٨)، والعلم هاهنا هو المعلوم؛ لوقوع الاستثناء عليه إذ لا يجوز إحاطة الخلق بعلمه قط؛ لانَّ علمه غير متناه؛ ولأنَّه قال: (بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ) و(من) للتبعيض والعلم القديم لا يتبعض.

ومنها: ما روى عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أنه قال:(العَجْزُ عن درك الإدراك إدراك)، تقديره العجز عن أن يدركه الإدراك هو إدراك بعينه، ومعناه العجز عن أن يحيط به العقل هو المعرفة به تعالى. فمعنى قول الصديق إنَّ من انتهى في المعرفة إلى حد يعجز عقله عن تكيف الرب، والإحاطة بذاته، فقد عرف الله حق المعرفة إذ لا حد لذاته، ولا كيفية، ومن لم يعقله عقله عن طلب الإحاطة به فقد أشرك؛ وهذا أحسن مما قيل فيه وأُشْرِحَ، وقيل أنَّ المعرفة

---

(٥٥) المصدر السابق ٥.

(٥٦) نور الحقيقة في إثبات المعرفة ل٥.

(٥٧) سورة طه: ١١٠.

(٥٨) سورة البقرة: ٢٥٥.

إن كانت في الابتداء كسبية؛ فإنها تصير في الانتهاء ضرورية، لا يقدر العارف أن يدفعها عن نفسه، فإذا عجز عن دفع المعرفة عن قلبه فقد عرفه تعالى؛ وهو معنى قولهم: العجز عن المعجوز عنه كالقدرة عن المقدور عليه، فإنَّ المُقعِد الزمن عاجز عن القعود إذ ليس ذلك بكسبه، والقعود موجود فيه وهو المعجوز عنه، وقيل إنَّ العارف مادام في الطلب كان قادراً على المعرفة فإذا وصل عجز إذ الحاصل لا يطلب.

ومنها: في شرح ما جاء في قصور معرفة الكفار وقد حمله جماعة على معرفة المؤمنين جهلاً منهم بسبب النزول. ويقول القزويني: اعلم إني رأيت أكثرهم يتمسكون بقوله تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾(٥٩)، ويزعمون معناه: أنَّ الخلق لا يعرفونه حق معرفته؛ لأنَّ في تفسير ابن عباس ما عرفوا الله حق معرفته(٦٠).

و اعلم أنَّ الله أنزل في القرآن: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾، في ثلاثة مواضع:

الأول: في سورة الأنعام نزلت في نفاة النبوة، وما نعى كلام الله يقول: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء، قال ابن عباس: نزلت في ملك بن الضيف رئيس اليهود وكان سميناً فقال له:(صلى الله عليه وسلم) أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل وجدت في التوراة أنَّ الله يبغض الحِبر السمين، قال: نعم فقال: (صلى الله عليه وسلم) فأنت الحبر السمين قد سَمِنتَ من مأكلة اليهود، فضحك القوم، فغضب مالك، ثم التفت إلى عمر فقال: ما أنزل الله على بشر من شيء (٦١).

الثاني: في سورة الحج، نزلت في عَبَدة الأوثان، كانوا يحلون أصنامهم بالجواهر، واليواقيت فربما سقطت منها واحدة فتخطفها الطير فلا تقدر الآلهة على استردادها، فالطالب الطير، والمطلوب الأصنام، وقال ابن عباس: إنَّهم كانوا يلطخون الأصنام بالعسل، كل سنة فيقع عليها

---

(٥٩) سورة الأنعام:٩١.

(٦٠) لم أجده في تفسير ابن عباس.

(٦١) ينظر: النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)،أسباب نزول القرآن، ت: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت- ط١، ١٤١١ هـ ج.١ص. ٢٢٣، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت٩١١هـ)، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ج.١ص.٩٠، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت: مركز هجر للبحوث- دار هجر – مصر- سنة النشر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ج.٦ص. ١٢٦.

الذباب وتأكل منها(٦٢)؛ فذلك قوله :﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾، ثم قال: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٦٣).

الثالث: في سورة الزمر، نزلت في المشبهة؛ وذلك أنَّ رجلاً من اليهود جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وقال: يا محمد إنَّ الله يمسك السموات على أصبع والجبال على أصبع، والأشجار على أصبع، وأشار إلى أصابعه الخمس، فتبسم (صلى الله عليه وسلم)، (٦٤) فأنزل الله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾(٦٥) ومعنى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾، القدر العظم يقال لفلان قدرٌ أي عظمة، وهو تفسير ابن عباس في إحدى الروايتين، وما عظموا الله حق تعظيمه (٦٦).

ومنها: ما روى عن الجنيد حين سُئِل عن المعرفة، فقال: تردد السِّرّ بَين تَعْظِيم الْحق عن الْإِحَاطَة وإجلاله عَن الدَّرك(٦٧). قال صاحب المجمل(٦٨): الإدراك: اللحوق، والدركة: حلقة الوَتِرُ تقع في فُرْضَةِ القَوْسِ؛ لأنها تضبطها، وتحيط بها، فقد صح أنَّ حقيقة إدراك، الإحاطة بالشيء(٦٩)، وإلى غير ذلك من الأدلة التي تمسك بها نفاة المعرفة.

---

(٦٢) ابن عباس: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب إليه، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان، د. س، ت، ط، ج.١ص.٢٨٤، والزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. س، ت، ط ، ج.٣ص.١٧٣.

(٦٣) سورة الحج: ٧٣-٧٤.

(٦٤) النيسابوري: أسباب نزول القرآن، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م ج.١ص.٢٧١.

(٦٥) سورة الزمر: ٦٧.

(٦٦) ابن عباس: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب إليه، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، ج.١ص.١١٤.

(٦٧) الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الحنفي (ت: ٣٨٠هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية – بيروت- د.س، ت، ط، ج.١ص.١٣٣.

(٦٨) هو: ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي؛ كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة؛ فإنه أتقنها، وألف كتابه (المجمل) في اللغة، وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً، وله كتاب حلية الفقهاء، وله رسائل أنيقة، ومسائل في اللغة، وتوفي سنة تسعين وثلاث مائة - رحمه الله تعالى - بالري، ودفن مقابل مشهد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني. وقيل: إنه توفي في صفر سنة خمس وسبعين وثلاث مائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج.١ص.١١٨، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج. ١٢ص.٥٣٨.

(٦٩) نور الحقيقة في إثبات المعرفة ل٩.

المبحث الثاني
الاستدلال على وجود الله

تمهيد:
يعتبر البحث في الإلهيات من أهم البحوث التي اهتم بها الفلاسفة والمتكلمون، ومهما حدث من تغيرات في الفكر المعاصر؛ فإن مبحث الألوهية يبقى موضوعا ضرورياً للبحث.

فقد ظهر الدهريون: وهم طائفة من الأقدمين الذين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان كذلك كان، وكذلك يكون أبداً(٧٠).

وظهر الماديون : ويزعمون أن الكون وما فيه إنما وجد من أصل المادة، وبنوا عليها إلحادهم في إنكار وجود الله تعالى، فالمادة هي كل شيء عندهم، وجعلوها البديل عن الله -عز وجل (٧١).

من الضروري أن تظهر في الفكر الإنساني نزعة تحرص على تأكيد وجود الله – جل جلاله- بأدلة النقلية والعقلية.

انطلاقا من ذلك بدأ الفلاسفة المسلمون والمتكلمون بالمشاركة في إثبات وجود الله، وبيان طرق الاستدلال على وجوده تعالى؛ حيث خصصوا لهذه القضية مواضع كثيرة من مصنفاتهم الكلامية، ومن ذلك انطلق القزويني ليثبت وجود الله تعالى، وضرورة انتهاء الموجودات إلى موجود لا موجِد له عز وجل.

ونقدم لذلك بموقف أبي طاهر بن أحمد القزويني من معرفة الله تعالى وجميع الصفات الخبرية والمعنوية.

طريق الاستدلال على وجود الله تعالى:

من المعلوم إن طريق استدلال وجود الله تعالى متعددة؛ غير أن كل طائفة تسلك طريقاً غير طريق التي سلك طائفة أخرى.

وهذه الطرق تتنوع تارة بتنوع أصل الدليل، وتارة بزيادة مقدمات فيه يستغني عنها آخرون، فهذا يستدل بالإمكان، وهذا بالحدوث، وهذا بالآيات وهذا يستدل بحدوث الذوات، وهذا بحدوث

---

(٧٠) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، المنقذ من الضلال، بقلم: د. عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، ص.١٢٨.

(٧١) عواجي، د. غالب بن علي ، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المكتبة العصرية الذهبية- جدة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ج.٢ص. ١٠٨٢.

الصفات وهذا بحدوث المعين كالإنسان وهذا بحدوثه وحدوث غيره(٧٢)، وكل هذه الطرق يصنفها البحث في اتجاهين: أحدهما نقلي، والآخر عقلي، ثم يعقب باستدلال الإمام القزويني بـ : دليل التمانع ، الفطرة، حدوث العالم، العناية والاختراع.

الفلاسفة المسلمون:

وأما الفلاسفة فقد اعتمدوا في إثبات وجود الخالق – جلا وعلا على مجموعة من البراهين:

ومن أبرز هذه الأدلة المنسوبة إليهم" دليل التناهي"؛ لأنه يقوم على إثبات تناهي هذا العالم من حيث امتداده المكاني، ومن حيث مدة زمانه، ومن حيث حركته؛ وهذا الدليل اعتمد عليه الكندي، فإن الكندي أقام الدليل على تناهيها، وبذلك أثبت بدايتها وحدوثها: أي حدوث العالم وضرورة محدث له(٧٣).

ومن أدلة الفلاسفة: دليل" الواجب والممكن" الذي اتخذه كل من الفرابي، وابن سينا في إثبات وجود الله(٧٤).

المتكلمون:

أما المتكلمون يعتمدون في أدلتهم على فكرة " حدوث" حدوث هذا العالم؛ ويقولون أنَّ العالم إما جوهر، أو عرض، وقد يستدل بكل واحد منهما؛ إما بإمكانه، أو بحدوثه، فهذه وجوه أربعة:

الأول: الاستدلال بحدوث الجواهر، وهو أنَّ العالم حادث وكل حادث فله محدث.

الثاني: بإمكانها، وهو أن العالم ممكن؛ لأنه مركب ، وكل ممكن فله علة مؤثرة.

الثالث: بحدوث الأعراض، مثل ما نشاهد من انقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما إذ لا بد من مؤثر صانع حكيم(٧٥).

---

(٧٢) ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، درء تعارض العقل والنقل، ت: د. محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، ج.٣ص. ٣٣٣.

(٧٣) العجمي، أ. د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة: (أبو حنيفة- مالك- الشافعي- أحمد) الموقف والمنهاج، ط٢، ١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة- الاسكندرية، ص.١٢٤.

(٧٤) دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية ، د. صالح الرقب – د. محمود الشوبكي، قسم العقيدة- كلية أصول الدين ـ الجامعة الإسلامية- غزة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ج.١ص.٢٤٦.

(٧٥) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد ، المواقف، دار الجيل – بيروت- ط١، ١٩٩٧م، ج.٣ص. ٧.

الرابع: بإمكان الأعراض، وهو أنَّ الأجسام متماثلة فاختصاص كل بما له من الصفات جائز فلا بد في التخصيص من مخصص له، ثم بعد هذه الوجوه، نقول: مدبر العالم إن كان واجب الوجود فهو المطلوب، وإلا كان ممكنا فله مؤثر، ويعود الكلام فيه، ويلزم إما الدور، أو التسلسل، وإما الانتهاء إلى مؤثر واجب الوجود لذاته، والأول بقسميه باطل، فتعين الثاني، وهو المطلوب (٧٦). هكذا هي – كما ذكرنا أدلة الفلاسفة على وجود الله تعالى عن طريق " التناهي" عند الكندي، ودليل" الواجب والممكن" عند كل من ابن سينا والفرابي، وكذلك أدلة المتكلمين المبنية على فكرة " الحدوث" القائمة على "الجوهر والأعراض" والانتهاء من ذلك بأنَّ لها محدثا هو الله تعالى.

ومن ذلك سيتبين مدى تأثير القزويني بهذه الطرق المتقدمة في الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى حيث قال: وتحقيقه أن يقال: حدوث الحوادث ظاهر، والحادث ما جاز وجوده وجاز عدمه، فإذا تخصص بالوجود بدلاً عن العدم الجائز لا بد له من مخصص، وذلك المخصوص إما علة أو طبيعة أو فاعل حي عالم مختار، بطل أن يكون علة أو طبيعة؛ لأنَّ العلة والطبيعة إن كانتا قديمتين لاقتضتا قدم المعلول والمطبوع، ولو كانتا حادثتين فالكلام فيهما كالكلام في المعلول والمطبوع، فإذا بطل القسمان تعين القسم الثالث؛ وهو أنها حادثة مترددة بين جواز الوجود، وجواز العدم، وكان ذلك المخصوص هو الفاعل القديم العالم المختار(٧٧).

(٧٦) المصدر السابق، ج.٣ص. ٧.

(٧٧) القزويني: السراج العقول في منهاج الأصول، ١٤٤.

المبحث الثالث
موقف القزويني من الصفات السلبية

يذكر القزويني: من المعرفة إثبات الصفة(٧٨) والصفات التي تتضمن بها الذات الإلهية؛ ويقول: وهي على ضربين: صفات النفس، وصفات معنوية زائدة على الذات؛ ويقصد بصفات النفس الوحدانية، ويطلق عليه الصفات السلبية، وهي خمسة: القدم، والبقاء، والقيام بالنفس، والوحدانية، والمخالفة للحوادث(٧٩).

وذكر القزويني من هذه الصفات؛ صفة الوحدانية، التوحيد: في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد.

وفي اصطلاح أهل الحقيقة: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان(٨٠).

أنواع التوحيد، التوحيد: ثلاثة:

١ - توحيد الربوبية.

٢ - توحيد الأسماء والصفات. ويقال له أيضًا: توحيد الخبر، وتوحيد المعرفة والإثبات.

٣ - توحيد العبادة ويسمى - أيضًا - توحيد الإلهية، وتوحيد الإرادة والقصد، وتوحيد الطلب.

أما توحيد الربوبية: فهو توحيد الله- تعالى- بأفعاله. والإقرار بأنه خالق كل شيء ومليكه، وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير.

وأما توحيد الأسماء والصفات: فهو أن يسمى الله ويوصف، بما سمى ووصف به نفسه، أو سماه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف، ولا تأويل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

وأما توحيد الإلهية: فهو إفراد الله بالعبادة: قولا، وقصدا، وفعلًا، فلا يُنذر إلا له، ولا تُقرب القرابين إلا إليه، ولا يُدعى في السَراء والضراء إلا إياه، ولا يُستغاث إلا به، ولا يُتوكل إلا عليه، إلى غير ذلك من أنواع العبادة(٨١).

---

(٧٨) القزويني، سراج العقول في منهاج الأصول، ت: مصلح أحمد نبي،٤٣.

(٧٩) القزويني، نور الحقيقة في إثبات المعرفة: ل٥.

(٨٠) ينظر التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ج.١ص. ٦٩.

(٨١) ينظر: مذكرة التوحيد، عبد الرزاق عفيفي (المتوفى: ١٤١٥هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ ، ج.١ص. ٢٧.

وذهب بعض المتأخرين إلى تقسيم التوحيد إلى قسمين:

الأول: توحيد الربوبية: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ولا رب غيره.

الثاني: توحيد الألوهية: الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو الإله الحق، ولا إله غيره وإفراده سبحانه بالعبادة(٨٢).

واستدل القزويني على وحدانيته تعالى بدليل التمانع، فقال: وهو إنا نشاهد أمور العالم مستقيمة جارية على النظام الحسن فلو قدر للعالم إلهان لجاز في العقل تقدير خلافهما في تدبير المملكة، ومتى تخالفا اختلَّ نظام السموات، والأرض ومن فيهنَّ؛ لأنَّ أحدهما يمكن أن يريد مثلاً طلوع الشمس من المشرق والأخر يريد طلوعها من المغرب فبالضرورة يبطل أحد المرادين ويعجز الواحد منها لاستحالة طلوع الشمس الواحدة من المشرق، والمغرب معاً في وقت واحد، فحينئذ مَنْ حصل مراده كان إلهاً، ومن عجز كان مخطأ عن رتبة الإلهية كما قال تعالى:﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(٨٣)، وقال الترمذي: اثنين ليس لمجرد التأكيد ولكن في ضمنه دليل التوحيد؛ وذلك أنَّ الاثنين مشتق من ثنيت أي صرف، معناه لا تتخذوا إلهين ثانيين أي صارفين بشيء كل واحد منهما صاحبه عن مراده، فإن قدرا كانا مقهورين، وإنْ لم يقدرا كانا عاجزين(٨٤).

وبذلك يقترب القزويني في ذكره لهذه الصفة من تقسيم بعض المتكلمين الذين ذكروا في تقسيم صفات الله تعالى، صفة الوجود التي هي الوجود الذاتي، وسموها الصفة النفسية؛ وهي ثبوتية عند الأشعري وتابعه، يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها، كما تدل عليه الصفات الأخرى، وهذا الوجود الذاتي ثابت لله تعالى وحده، وأما وجوده غيره من الكائنات، فوجوده تَبَعِيٌّ مستمد منه سبحانه وتعالى.

وأما مسألة زيادة الصفات على الذات. فقد ذهب القزويني - وهو رأي الأشاعرة إلى أنَّ صفات الله أزلية زائدة على الذات، وهذه الصفات ليست هي الذات ولا هي غير الذات، كما قال: أي لا مغايرة بين الذات والصفات، إذ لا هي هي بعينها، ولا هي غيرها، مثل السبعة من العشرة؛ إذ لا هي عشرة ولا هي غير العشرة؛ حيث لا تكمل العشرة إلا بها؛ بل لا تعقل تلك الصفات إلا مع الذات، ولا ذات إلا مع الصفات(٨٥).

---

(٨٢) القول السديد شرح جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم اللقاني/ تأليف: علي عثمان جرادي، ص.٦٥.

(٨٣) النحل،٥١.

(٨٤) القزويني نور الحقيقة في إثبات المعرفة ل٥.

(٨٥) القزويني سراج العقول في منهاج الأصول، ص.٤٣.

المبحث الرابع
موقف القزويني من صفات المعاني

يذكر القزويني الصفات التي تتعلق بها ذات الإلهية فقال : الصفات المعنوية الزائدة على الذات؛ أعني: القدرة والعلم، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وقال: إنَّ الفاعل إذا لم يكن موصوفاً بهذا الصفات؛ كان موصوفاً بأضدادها، والأضداد أفات ونقائص، والرب منزه عن الآفة والنقص، فيجب أن يكون سميعاً بصيراً متكلماً(٨٦).

وقد سمي المتكلمون هذا النوع من الصفات الإلهية بالصفات المعنوية، أو المعاني(٨٧) أو بالصفات الذاتية، أو الصفات الأزلية، أو الصفات النفسية(٨٨)، ويراد بها عندهم؛ كل صفة قائمة بذاته سبحانه تعالى(٨٩)؛ وهي عند جمهور الأشاعرة سبع صفات: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر. وضم بعضهم إلى الصفات السبع صفة أخرى؛ وهي الإدراك، وكذلك أثبتها الماتريدية، ولكن جعلوها ثماني صفات، بإضافة صفة التكوين(٩٠).

النزاع في صفات المعاني:

يتفق المسلمون جميعاً من فلاسفة ومتكلمين، على أنَّ الله تعالى واحد، يتصف بصفات الكمال الثبوتية الواجبة لذاته تعالى، والتي أطلقها الله على نفسه، إلا أنَّهم اختلفوا في تفسير صفات المعاني، **على قولين:**

---

(٨٦) القزويني، المصدر السابق، ل٤، والقزويني، سراج العقول في منهاج الأصول، ص. ٤٦.

(٨٧) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، العرش ، ت: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط٢، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، ج.١ص.١٠٧، والتفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله (ت: ٧٩١ هـ)، شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مكان النشر باكستان، ج.٢ص.١٦٩.

(٨٨) الخميس، محمد بن عبد الرحمن الخميس، الفقه الأكبر مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (ت: ١٥٠هـ)، مكتبة الفرقان - الإمارات العربية ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ج.١ص.١٦، والتميمي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت: ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت ط٢، ١٩٧٧م ج.١ص.٣٢٢، و الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت: ٦٣١هـ)،غاية المرام في علم الكلام، ت: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة سنة النشر، د. ت،ج.١ص.٣٨.

(٨٩) البوطي، محمد سعيد رمضان ، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر، المعاصر بيروت- لبنان- دار الفكر دمشق- سورية- ١٩٩٧م، ص. ١١٩.

(٩٠) التميمي، محمد بن خليفة بن علي ، مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية – ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج.١ص.١١١.

القول الأول: وهو قول الجمهور، الأشاعرة والماتريدية؛ وهو: أنَّ الله سميع بصفة تسمى سمعاً، وبصير بصفة تسمى بصراً، وكذلك في سائر الصفات، فهو قدير بقدرة، ومريد بإرادة، وعليم بعلم، ومتكلم بكلام، وحي بحياة.

القول الثاني: وهو مذهب المعتزلة، والفلاسفة، والشيعة الإمامية، والإباضية، والجهمية، وهو نفي الصفات الزائدة على الذات، فالله عالم بالذات بلا علم، وقادر بالذات بلا قدرة، وسميع بالذات بلا سمع، هكذا في جميع الصفات(٩١).

فهم قالوا: إن القديم ذات واحدة قديمة، ولا يجوز إثبات ذوات قديمة متعددة، ولكن المعتزلة ناقضوا في صفتين (الكلام والإرادة) إذ قالوا إنه مريد بإرادة زائدة على الذات، ومتكلم بكلام هو زائد على الذات، إلا أن الإرادة يخلقها في غير محل، والكلام يخلقه في جسم جماد ويكون هو المتكلم به (٩٢).

وأما ما يتعلق بعدد هذه الصفات، وهل يجوز حصرها بعدد معين، فقد ذهب القزويني إلى عدم حصرها لما سبق، والإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة؛ فقال: واعلم أنَّ مدار هذا الأمر على حرف؛ وهو أنا مكلفون بمعرفة الله حقاً، ولا سبيل لنا إلى معرفته في عالم التكليف، إلا بالاستدلال بنظر العقل من جهة الصنع في مباحثات العقول، إلا على الذات الموصوفة بهذه الصفات المشهورة التي ورد بها الكتاب والسنة، فمن عرف الله بها فقد كملت معرفته؛ لأنه قد أتى بما كلف به(٩٣).ويتبين من ذلك أن القزويني لم يحصر الصفات في السبعة مثلما فعله الأشاعرة.

---

(٩١) الدوري، د. قحطان عبد الرحمن الدوري، العقيدة الاسلامية ومذاهبها، ط٤، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م،- بيروت- لبنان م، ص.٣٧٢.

(٩٢) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليل دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان – ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م ج.١ص.٧٩.

(٩٣) القزويني، سراج العقول في منهاج الأصول،٤٧.

موقف القزويني من كلام الله تعالى

اختلف المتكلمون في كلامه تعالى على أقوال:

١- أهل السنة والجماعة ومنهم الأشاعرة والماتريدية:

قالوا: كلام الله تعالى نوعان:

أ- كلام نفسي: وهو الكلام حقيقة، المعبَّر عنه بالألفاظ، وليس من جنس الأصوات والحروف، بل صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، منافية للسكوت والآفة، كما في الخَرَس والطفولية، وهو بها آمرٌ ناه مخبرٌ، وغير ذلك.

ب- كلام لفظي: وهو الحروف والأصوات، وهذا يقولون بحدوثه وعدم قيامه بذاته تعالى، وهو القرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة.

فالقرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق. لكنه يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق. ويراد به اللفظ الذي نقرؤه، إلا في مقام التعليم؛ لأنه ربما أوهم أنَّ القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق.

٢- المعتزلة والشيعة الإمامية:

كلامه تعالى حروف وأصوات، ولكنها ليست قائمة بذاته، وإنما يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ أو الملك جبريل أو النبي، وهو حادث.

فالمعتزلة يقولون بحدوث الكلام، زعما منهم أن من لوازمه الحروف والأصوات، وذلك مستحيل على الله تعالى، فكلام الله تعالى عندهم مخلوق لأنَّ الله خلقه في بعض الأجرام.

٣- الحنابلة:

وهم يقولون: كلامه تعالى عبارة عن حرف وصوت، يقومان بذاته تعالى، وهو قديم، وحتى غلا بعضهم جهلاً، فقال: الجلد والغلاف قديمان، فضلاً: عن المصحف.

٤- الكرَّامية: وهؤلاء وافقوا الحنابلة في أنَّ كلامه تعالى حروف وأصوات، ولكنهم سمُّوا ذلك قولاً له، وسلَّموا أنَّه حادث، وقالوا: هو قائم بذاته لتجويزهم قيام الحوادث به وهو باطل؛ لأنَّ ما يقوم به الحادث فهو حادث، وقد ثبت أنَّ الله تعالى قديم(٩٤).

---

(٩٤) أصول الدين الإسلامي، الدكتور: رُشدي محمد عليان – والدكتور قحطان عبدالرحمان الدوري. بيروت لبنان ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ط٢، ص.١٢٣. والقول السديد شرح جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم اللقاني (ت:١٠٤١هـ)، تأليف: علي عثمان جرادي، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان سنة الطبعة ١٤٣٤هـ ٢٠١٣، ط١، ص.٨٤.

موقف القزويني:

فيثبت القزويني صفة كلام الله سبحانه وتعالى كصفة ذاتية وقديمة كسائر الصفات الأخرى، فيقول في إثبات كونه متكلماً بكلامي أزلي: واعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى ملك(٩٥) ومن ضرورة الملك أن يكون" آمراً "(٩٦)، ناهياً في رعيته ليستتب ملكه، والأمر والنهي كلام فيجب أن يكون متكلماً؛ ولأنَّ ضد الكلام خرس كما أن ضد السمع صمم، وضد البصر عمي وهي أفات ونقائص والرب منزه عن الآفة والنقص فيجب أن يكون سميعاً بصيراً متكلماً(٩٧).

وذهب القزويني إلى ما ذهب إليه الأشاعرة من أنَّ كلام الله ليس بصوت، ولا حرف وهو معنى واحد لا يتجزأ ولا يتعدد ولا يتبعض ولا يتكثر وقال: إنَّ كلام الله لا كثرة فيه، إذ هو معنى قائم بالذات، فلو كان كثيراً لم يخل من أحد أمرين: إما أن يكون متعدداً إلى ما لا نهاية له، وإما أن يكون متناهياً، وكلاهما محال؛ إذ لو كان غير متناه لما حصره الوجود في العدد، ولو كان متناهياً بعدد مخصوص لا ستدعى مخصِصاً، القديم لا يتخصص.

ويرى القزويني أنَّ الله متكلم وكلامه قديم، فالكلام عنده صفة قديمة كالعلم والقدرة والإرادة، وينفي أن يكون القرآن مخلوقاً، وهو برأيه هذا يوافق الأشاعرة فيما ذهبوا إليه في هذه المسألة.
وأقوى ما استدل به القزويني من الأدلة النقلية في إثبات كلام الله تعالى، قوله تعالى في شأن موسى عليه السلام ﴿ قَالَ يامُوسَى إِنْي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾(٩٨) فالرسالة بواسطة الرسل، والكلام بغير الواسطة(٩٩).

---

(٩٥) القزويني، سراج العقول في منهاج الأصول، ٤٨.

(٩٦) ورد في الأصل آميرا، والصحيح ما أثبته، والله أعلم.

(٩٧) نور الحقيقة في إثبات المعرفة، ل٥.

(٩٨) سورة الأعراف ١٤٤.

(٩٩) القزويني سراج العقول في منهاج الأصول، ص.٥٠ – ٥٢.

المبحث الخامس
موقف القزويني من الصفات الخبرية

الصفات الخبرية وتسمى الصفات النقلية، والسمعية؛ وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع والخبر عن الله، أو عن رسوله عليه الصلاة والسلام (١٠٠)، وليس للعقل دور مستقل في إثباتها، وما عليه إلا التصديق؛ لورود الخبر بها، وهي توهم التشبيه بالمخلوقات بحسب ظاهرها، ولذلك يمكن تقسيمها بحسب ما توهمه من التشبيه إلى ما يأتي:

١- الصفات التي توهم التشبيه بالجوارح كاليد، والعين، والوجه، والأصابع.

٢- الصفات التي تشعر بالحركة، والانتقال كالمجيء، والنزول، والدنو.

٣- الصفات التي تشعر بالتغيرات النفسية كالغضب، والرضا، والضحك.

وقد اهتم القزويني ببعض هذه الصفات الخبرية؛ التي وردت بها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، كالاستواء والنزول، والمكان والمجيء، وبين مذهبه فيها، وذكر الاستواء فقال هذه ثلاثة طرق:

الأول: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، بأن نقول: استواء يليق بجلاله وعظمته، كقول الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب.

والثاني: يؤولها إلى معنى: استتم أو استكمل، واستدل، بأنَّ الله تعالى ما ذكر الاستواء على العرش في جميع القرآن إلا بعد ذكر السموات والأرض، وذلك في ستة مواضع:

١- في الأعراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾(١٠١).

٢- الفرقان﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾(١٠٢).

٣- وفي الحديد: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾(١٠٣).

٤- وفي سورة يونس:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾(١٠٤).

---

(١٠٠) ينظر: علي، أبو أحمد محمد أمان بن جامي (ت: ١٤١٥هـ)، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط١ ، ١٤٠٨هـ، ج.١ص.٣٩٩.

(١٠١) سورة الأعراف:٥٤.

(١٠٢) سورة الفرقان: ٥٩.

(١٠٣) سورة الحديد:٤.

(١٠٤) سورة يونس:٣.

٥- وفي سورة الرعد: ﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (١٠٥).

٦- وفي سورة طه:﴿ طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١٠٦) .

٧- وفي سورة السجدة:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ﴾ (١٠٧). فيقول: والمعنى في جميع ذلك، ثم استوى الخلق على العرش أي استتم، فما خلق فوق العرش شيئاً.

والثالث: بمعنى الاستقرار؛ كما يقول: استقر الملك على فلان، واستقر الأمر على رأي القاضي، أو استكمل لقوله تعالى:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ (١٠٨) أي استتم واستكمل، أو بمعنى الاستيلاء.

وأما مسألة الفوقية، فيرى القزويني: أنها بمعنى المكانة والرتبة.

وينفي القزويني الجهات عن رب العالمين، وكذا الكيفية، والكمية، واللمية، والأينية، بقوله: فلا يقال: كيف هو؟ ولا كم قدره؟ ولا لم كان هو؟ ولا أين هو؟ لأن هذه العبارات تطلق على الأجسام، ولكن يقال في الأينية إنه لبالمرصاد؛ استدلالاً بقوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (١٠٩).

وأما في مسألة النزول فيؤولها إلى معنى إستفاضة الرحمة، واليدين بالنعمة، والعين بالرعية. وهكذا كل الصفات الخبرية.

ومما تقدم يتبين أن القزويني يعد آيات الصفات التي تثبت بالعقل من المتشابهات، ثم اختلف قوله فيها؛ فمرة يقول بتأويلها كما مرَّ، ومرة يقول بأنه لابد من الإيمان كما هي على رأي السلف (١١٠).

---

(١٠٥) سورة الرعد:٢.

(١٠٦) سورة طه: ١-٥.

(١٠٧) سورة السجدة:٤-٥.

(١٠٨) سورة القصص:١٤.

(١٠٩) سورة الفجر:١٤.

(١١٠) القزويني، سراج العقول في منهاج الأصول، ت: مصلح أحمد نبي، ص٥٣.

المبحث السادس
موقف القزويني من رؤية الله تعالى

اختلفت فرق المسلمين في رؤية الله سبحانه وتعالى على قولين:

القول الأول: تجوز الرؤية بالأبصار. وهو قول الأشاعرة والماتريدية وجمهور المسلمين، قالوا: يرى بالأبصار من غير تكيّف بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام، ومن غير إحاطة، بل يحار العبد في العظمة والجلال، حتى لا يعرف اسمه، ولا يشعر بمن حوله من الخلائق، فإنَّ العقل يعجز هناك عن الفهم، ويتلاشى الكل في جنب عظمة الله تعالى.

القول الثاني: لا تجوز الرؤية بالأبصار، وهو قول الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والإباضية والامامية، والنجارية، والزيدية، والراوندية(١١١).

وقد وقف القزويني في مسألة الرؤية إلى جانب أهل السنة والجماعة، في القول بجواز رؤية الله سبحانه تعالى في الآخرة، وعبر عن ذلك بوضوح؛ فقال: اعلم أنَّ الرؤية معنى له حقيقته في نفسه، ومحل يقوم؛ ومتعلق يتعلق به؛ فحقيقته أنه نوع إدراك أو علم مخصوص أو مزيد علم وانكشاف، على ما اختلفوا فيه. ومحله ناظر العين، ومتعلقه في الشاهد، الكون والقدر والجسم، أما العين بعينها فليست بركن للرؤية لأنَّ الرؤية معنى واحد، فلا يقتضي إلا جزءاً واحداً حياً تقوم به. ووجود سائر الأجزاء حول ذلك الجزء كعدمها، حتى إنَّ ذلك المعنى لو خلق في قلوبنا أو وجوهنا مثلاً لقلنا: رأينا وأبصرنا وصح ذلك منَّا، فهذا يدل على أنَّ العين بأطباقها وبنيتها، آلة للرؤية لا لعينها؛ بل لكونها محلاً حياً موصوفاً بتلك الصفة.

وأما متعلقها فليس إلاَّ موجوداً، أيَّ موجود كان؛ لأنَّ الرؤية تتعلق بالجسم والعرض معاً، فلو كانت الرؤية لتعلقها بالجسم لما كان المتعلق بالعرض رؤية، وكذلك على العكس، ومن جعل الجهة شرطاً لمتعلقها بطل ذلك العلم(١١٢).

واستدل على جواز الرؤية بقوله تعالى :﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾(١١٣). هذا بالنسبة للمؤمنين يوم القيامة، وبقوله تعالى في حق الكافرين قوله تعالى:﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (١١٤)، وقوله:﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ (١١٥).

وقال: واعلم أنَّ رؤية الله تعالى، عند أهل الحق، ليست مثل رؤيتنا هذه الأجسام، والألوان

---

(١١١) الدوري، د. قحطان عبد الرحمن ، العقيدة الاسلامية ومذاهبها، ص.٤٠٧.

(١١٢) السراج العقول في منهاج الأصول، ص ١٧٠.

(١١٣) سورة القيامة: ٢٢-٢٣.

(١١٤) سورة المطففين:١٥.

(١١٥) سورة القيامة:٢٤-٢٥.

المحسوسة بتقليب الحدق في صوبها، والإحاطة بجوانبها، ثم الإدبار عنها، وتصور الشبح المرائي في الخيال، واتصال أشعة من العين بذاته وانفصالها عنه، أو في جهة، أو مقابلة، فإنها كلها تشبيهات وضلالات ـ تعالى الله عن ذلك وتقدس علواً كبيراً، بل طريقها في عدم التأثير ونفي الجهة طريق العلم.

وقال القزويني: إن أقوى دليل على جواز رؤية الله عند من يؤمن به أو يعتقد، من الكتاب هو قصة موسى – عليه السلام حيث قال لربه:﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٦)، استدل بهذه الآية من وجهين:

الأول: أنَّ موسى ممن اصطفاه الله برسالته وبكلامه، فمحال أن يعتقد في الله شيئا يستحيل عليه، ثم يسأله ذلك في مقام القرب؛ لأنه إذا سأل ما يستحيل عليه يكون جاهلاً بربه وصفاته، والجاهل بالله منحط عن رتبة الرسالة والنبوة، فدل أنَّ سؤاله الرؤية من الممكنات، والجهل بالرؤية لا يخل برتبة النبوة؛ لأن الغيب عند الله، وقوله تعالى في جواب موسى عليه السلام (لن تراني) تنبيه على جواز الرؤية؛ لأنه قد خصص به، ولم يقل أُرى أو لست بمرئي، دليل على رؤيته.

والثاني: أنَّ الله تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل، واستقرار الجبل ممكن في نفسه، والمتعلق على الممكن ممكن، إذاً فالرؤية ممكنة.

ثم أتى القزويني بدليل عقلي فقال: مثال ذلك من ستر في كمه شيئا فقلتَ له: أعطني ذلك حتى آكله فيقول: هذا لا تأكله، دل قوله على أنه مأكول في نفسه، ولكن لا تأكله أنت أيها السائل؛ لأنه لوكان هذا غير مأكول لقال هذا لا يؤكل(١١٧). كما أشار القزويني الى معرفة جواز رؤيته من طريق الصنع، البحث عن مصحح الرؤية في الجوهر والعرض؛ لأنهما مرئيان معاً فلابد فيهما من مصحح للرؤية يجمعهما، وليس يجمعهما صفة إلا الوجود والحدوث، ولا معنى للحدوث إلا الأخبار عن عدم سابق فلم يبق إلا الوجود فدل على كون كل موجود مرئياً، والرب موجود فيجب أن يكون مرئياً في نفسه (١١٨).

رؤية الله تعالى في الدنيا: واتفقت الأُمَّة على أنَّ الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا بعينيه.
إلا أنهم اختلفوا في رؤية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بالعين ربه في الدنيا، فمنهم أثبتها، ومنهم نفاها، وكل من الفريقين يستدل بالأدلة السمعية.

ولما كان التنازع في هذه المسألة مأثوراً، فقال بكل منهما بعض الصحابة(١١٩).

---

(١١٦) سورة الأعراف١٤٣.

(١١٧) القزويني، نور الحقيقة في إثبات المعرفة، ل٥.

(١١٨) القزويني، سراج العقول في منهاج الأصول، ٥٧.

(١١٩) ينظر: قحطان عبد الرحمن الدوري، العقيدة الاسلامية ومذاهبها، ص. ٤١٥.

المبحث السابع
موقف القزويني من أفعال العباد

وقد ذكر القزويني في هذه المسألة اتجاهين:

الاتجاه الأول: في كشف الغطاء عن وجه الكسب.

الاتجاه الثاني: في حكاية المذاهب:

أمَّا الأوَّل: فقال القزويني: " اعلم أنَّ القضاء والقدر عبارتان عن الله تعالى في الأزل بما سيكون وحكمه الحتم في كل شيء في الجمادات والحيوانات، إلا أنَّ أحكامه تجري على الجمادات جبراً، مثل خلق الحركة في الأشجار، والإحراق في النار، وعلى الحيوانات كذلك تجري أحكامه جبراً، غير أن الحيوانات لما أُعطيت الحياة، والحياة شرط القدرة والإرادة والعلم وغيرها، فكان – سبحانه – إذا قضى أمر الحيوان، وفعل فيه فعلاً اشتبه على العقول هل أن ذلك من قدرة هذا الحيوان أم من قدرة الله تعالى، فوقع الخلاف في ذلك بين الأمم.

والحق الصُّراح أن قضاياه تعم الخلق كلهم، والقدر خيره وشره من الله، وكل من عند الله، والله خالق كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، وخالق كل صانع وصنعته، ولكن لما رُشِّح الإنسان للآخرة، وأكرمه العقل والفهم وأقامه في معرض التكليف وأعطاه مزية قوة على سائر الحيوان.

وبيان ذلك أنَّ الله إذا أراد أن يحرك يد إنسان بقدرته، خلق لها معها قدرة حادثة مقارنة لتعلق القدرة القديمة به، فأقدر الإنسان على تحرك يده، فالله هو القادر حقاً والمقدر خلقاً، والإنسان عاجز حقاً ومختاراً جبراً، وهذا الاختيار هو الذي سمي كسباً، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٢٠).

فعلى هذا، قد وجد في العبد سبب الاضطرار وسبب الاختيار، وهو باعتبار هذين السببين ينسب إليه الفعل تارة، ويسلب عنه تارة أخرى، واستدل القزويني على ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (١٢١).

وكذلك استدل على قوله بأدلة عقلية، منها قوله: "وذلك مثل ما ينسب الفعل إلى السبب الأقرب تارة، وإلى السبب الأبعد تارة أخرى، فالأقرب كقولهم قطع السيف يد فلان، والأبعد قطع الأمير يد فلان.

---

(١٢٠) سورة الأحزاب: ٧٢.

(١٢١) سورة الأنفال:١٧.

وأما الثاني: حكاية المذاهب: وقد تعرض القزويني لهذه المسألة، وذكر ثلاث طرق رئيسة للمتكلمين فيها، وهي:

الطريق الأول: القول بأنَّ الله عز وجل خالق لجميع اكساب العباد فلا خالق سواه، ولا مبدع غيره وكل حادث فالله تعالى محدثه، وأنَّ العبد قادر على اكتساب الأفعال، وأنه غير ملجأ إلى فعله ولا يجبر عليه؛ بل يكتسب هذه الأفعال باختياره وإرادته. وهذا الاتجاه تبناه الأشاعرة وبه قال القزويني.

الطريق الثاني: القول بأنَّ الله خالق لأفعال العباد فيهم، وأنَّهم مجبرون على ذلك، وغير قادر على اكتساب عملها، وليس لهم القدرة ولا الإرادة ولا الاختيار ولا المشيئة، وأنهم مسيرون، مثل الأشجار التي تحركها الرياح كيف يشاء – بإذن الله –ويمثل هذه الاتجاه الجهمية.

الطريق الثالث: القول بأنَّ الله غير خالق لأفعال العباد، وأنَّ العباد والحيوانات هم الخالقون لتصرفاتهم واكتسابهم، والقادرون عليها بقدرة الله جل جلاله لهم، ويمثل هذه الاتجاه المعتزلة، ومن وافقهم.

وقد استدل القزويني على ما ذهب إليه؛ من أنَّ فعل العبد الاختياري واقع بقدرة الله تعالى، وليس لقدرة العبد تأثير في إيجاده، بعدة أدلة؛ ونكتفي بما يأتي:

الأدلة النقلية:

١- قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١٢٢).

٢- وقوله تعالى:﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (١٢٣)، وجه الدلالة: أنه أخبر أنه كل شيء عنده وأعمالنا شيء.

٣- وقوله تعالى: ﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٢٤)وجه الدلالة: أنه نفى أن يكون خالق غيره، كما نفى إلهاً غيره.

والأدلة العقلية كثيرة ولكن نكتفي بواحدة منها: لوكان العبد خالقاً لأفعال نفسه لكان عالماً بأحكامها وأوصافها وحقائقها، من نحو كونها أعراضاً وأجناساً مختلفة، لكنَّ العبد غير عالم بتفاصيل أفعاله، فيلزم من ذلك أنه غير خالق لها، وثبت أنَّ الخالق لضروب الأفعال هو الله جلَّ جلاله، العالم بحقائقها والقاصد إلى إيجادها(١٢٥).

---

(١٢٢) سورة الصافات: ٦٩.

(١٢٣) سورة النساء: ٧٨.

(١٢٤) سورة القصص: ٧٢.

(١٢٥) القزويني، سراج العقول في منهاج الأصول،٦٤.

القسم الثاني: التحقيق.

أولاً: دراسة عن كتاب" نور الحقيقة في إثبات المعرفة ".

١- تعريف الكتاب.

٢- تحقيق اسم الكتاب.

٣- نسبته إلي مؤلفه.

٤- زمن تأليف الكتاب وسببه.

٥- منهج التأليف.

٦- قيمة الكتاب.

أولاً: دراسة عن كتاب نور الحقيقة في إثبات المعرفة.

١ـ تعريف الكتاب:

هو كتاب قيم ونفيس مشتمل على ثلاث أقسام وكل قسم مشتمل على أربعة أبواب، وتظهر أهميته لما يتناوله من العديد من القضايا الكلامية المهمة المتصلة بمعرفة الله تعالى، وما يجب له وما يكون له، وما ينفي عنه من النقائض، كذلك قضايا خلق العالم وحدوثه.

٢ـ تحقيق اسم الكتاب:

اسم الكتاب" نور الحقيقة في إثبات المعرفة " لم أجد خلافاً في ذلك وهذا مكتوب على غلاف المخطوطة، وقد ذكره الرافعي في كتابه التدوين وقال: وقد أثنى عليه بعض أهل العلم في عصره من الشيوخ والكهول، واعترفوا بالتقدم والتبريز في المستنبط والمنقول، فكتب الإمام أَبُو سليمان أحمد بْن حسنويه الزبيري رحمه اللَّه على كتابه المعروف بنور الحقيقة ونور الحديقة حين فرغ من تأليفه: كتابك نور للحقيقة لائح ... وفحواه نور للحديقة فائح .

كتب الإمام محمد بْن خليفة الصائغ رحمه اللَّه طالعت هذه الأجزاء فصادفتها على الحقيقة،

نور الحقيقة وتنزهت ونور الحديقة وتنزهت منها في جنة عالية.

وكتب حمزة بْن أبي القاسم بْن حمزة المعروف بابن باب الأصبهاني:

قد استضاءت بنور الحقيقة .... واقتطفت من نور الحديقة

نور الحقيقة من ذراها ساطع ... يهدى النهى في ظلمة التقليد

يبقى بها الدين عمر بهائها ... وبهاؤها يبقى على التأبيد.

وكتب الإمام أَبُو النجيب عَبْد الرحمن بْن محمد، نظرت في هذه الأجزاء البديعة الأسلوب الآخذة بمجامع القلوب. فقلت:

أوراقها ورق المعارف نورها نور الحقيقة ... تحوي نور العلم في أبوار روضتها الأنيقة

وطيورها بالصدق تهتف فوق أغنان وريقة ... برزت عروس الحق فيها في غلايلها الرقيقة

(١٢٦)، ويتبين لنا أنَّ اسم " الكتاب " نور الحقيقة في إثبات المعرفة.

٣ـ نسبة الكتاب إلى المؤلف:

لا خلاف في نسبته إليه؛ ونسب إليه كل من ترجم له، وحتى نسبه إلى نفسه بعد أن حمد الله تعالى وصلى على نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وقال: والله أسئل بجامع نيتي ومكامن طويتي أن لا يزل قدمي عن الرشاد ولا يزيل قلمي عن السداد، ويلهمني الحق فيما تصديت له ويصحبني الصواب فيما توجهت إليه، ويكلاءني في من سقطات الهوى وخطوات الشيطان إنَّهُ الولي الناصر وهو حسبي وكفى.

---

(١٢٦) الرافعي التدوين في أخبار قزوين، ج.٣ص. ٣١- ١٠٠.

٤- زمن تأليف الكتاب، وسببه:

لم يشر القزويني إلى تأريخ البدء في تأليفه لهذا الكتاب، وكذلك لم يشر المترجمون له إلى هذه المسألة. وأما سبب تأليف هذا الكتاب الجليل أشار القزويني إليه في مقدمة كتابه، وبعد أن حمد الله تعالى وصلى على نبيه (صلى الله عليه وسلم)، ويقول : فإني ما سمعت جماعة من المسلمين يتناطحون في هذه المسألة و يتذابحون عليها أعني مسألة المعرفة فبعضهم يدعي أن الله يُعرف حقيقة وبعضهم يصرح بأنه لا يعرف بالحقيقة، وأريت أن الخلائق في مثل هذا الموضوع من الدواهي السود التي تصفر منها الأنامل، وكانت نفسي إذ ذاك حدثتني أن اقتحم بفكري في مضايقها، واستنبط عيون حقائقها فزجرتها عن مُناها ونفرت في قفاها وقلت لها من ركب البحر أخطر يا نفسي ألزمي شانكِ ومكانكِ واعتصمي بحبل النجاة، وتزجي ببضاعتك المزجاة فقالت كف عني عذب كلامك، وأعفني عن مضض كلامك ودعني أبذل وسعي، وطاقتي وأرِم ما في كتابتي فجهد المقل وإن قل غير مردود فالجود الموجود غاية الجود فخدعتني بهذا المقال وأوردتني فحم هذه الأهوال (١٢٧).... ويظهر من كلامه أن سبب تأليفه هو اختلاف المسلمين حول معرفة الله تعالى.

٦- منهج التأليف:

منهج التأليف في كتاب نور الحقيقة في إثبات المعرفة، بعد أن تعرفنا على القزويني وملامح شخصيته ومؤلفاته نريد التعرف على منهجه في تأليف الكتاب، إن موضوع " كتاب نور الحقيقة " الذي هو علم الكلام، يملي على مؤلفه اعتماد منهج الحِجاجِ النقلي والعقلي، المزوج بأساليب التوضيح والبيان والأماثل.

والقزويني في دراسته الكلامية، يستدل بأقوال العلماء والحكماء والشعراء أيضاً، ولكن معظم اعتماده على الاستدلال العقلي: وعلى سبيل المثال ففي مسألة وجود الله، فيقول: من الدلائل العقلية اجمع المسلمون قاطبة على كون معرفة الله تعالى واجبة، وشواهد الشرع دالة على وجوبها؛ كقوله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (١٢٨)، واجتمعت كآفة الأمم على أنه غير محسوس، ولا مشاهد اليوم، واتفقوا على أنَّ مالا يكون محسوساً ضرورياً، ولا بديهياً، كان العلم به لا محالة عقليّاً نظريّاً(١٢٩).

٧- قيمة الكتاب: إن هذا المخطوط له قيمته العلمية؛ إذ ليس تلخيصاً لأي كتاب آخر، ويستدل المؤلف على آرائه بالأدلة النقلية، والعقلية، ويستشهد بآراء العلماء الآخرين كثيراً.

---

(١٢٧) القزويني، نور الحقيقة في إثبات المعرفة:ل١.

(١٢٨) سورة محمد:١٩.

(١٢٩)المصدر السابق، ل٢.

ثانياً: النص المُحَقَّق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خص العارفين بمعرفة مالا يعرفه إلَّا هو، وسلب عقولهم بنور وجهه فتحيروا في سُبُحاته(١٣٠) " وتاهوا"(١٣١)، ثم أفناهم عن بقاياهم " فقاعوا " (١٣٢) في صعقتهم بما " قاعوا "(١٣٣)، ثم أحياهم به، وأنهم فنطقوا بالحق إذ شاهدوا محياه، والصلاة على من رُفِع الحجاب عن بصائر الذين اتبعوه، ومن بحر علمه امتاحوا محمد المصطفى وأله وأصحابه الذين قصدوا مقصده ومرماه .

وبعد : فإني ما سمعت جماعة من المسلمين يتناطحون في هذه المسألة، و يتذابحون عليها؛ أعني مسألة المعرفة فبعضهم يدعي أنَّ الله يُعرف حقيقة، وبعضهم يصرح بأنَّه لا يعرف بالحقيقة، وأريت أن الخلائق في مثل هذا الموضوع من الدواهي السود؛ التي تصفر منها الأنامل، وكانت نفسي إذ ذاك حدثني أن أقتحم بفكري في مضايقها، واستنبط عيون حقائقها فزجرتها عن مُناها ونفرت في قفاها، وقلت لها من ركب البحر أخطر، يا نفسي ألزمي شأنكِ، ومكانكِ، واعتصمي بحبل النجاة، وتزجَّي(١٣٤) ببضاعتك المزجاة، فقالت كف عني عذب كلامك، وأعفني عن مضض(١٣٥) كلامك، ودعني أبذل وسعي، وطاقتي وأرِم ما في كتابتي فجهد المقل وإن قل غير مردود فالجود الموجود غاية الجود، فخدعتني بهذا المقال، وأوردتني فحم هذه الأهوال، والله أسئل بجامع نيتي ومكامن طويتي؛ أن لا يزل قدمي عن الرشاد، ولا يزيل قلمي عن السداد، ويلهمني الحق فيما تصديت له، ويصحبني الصواب فيما توجهت إليه، ويكلاءني فيَّ من سقطات الهوى، وخطوات الشيطان، إنَّهُ الولي الناصر، وهو حسبي وكفى.

---

(١٣٠) السُّبُحَات: بضمّتينِ مَواضِعُ السُّجُودِ. وسُبُحاتُ وَجْه الله) تَعَالَى: (أَنْوَارُه) وجَلالُه وعَظَمَتُه. قَالَ ابْن شُميل: سُبُحاتُ وَجْهه: نُورُ وَجْهِه. وَقيل: سُبُحاتُ الوَجْهِ: مَحاسنُه، لأَنّك إِذا رأَيتَ الحَسَنَ الوَجْه قلت: سبحانَ اللَّهِ. ينظر: مرتضى، الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ج.٦ص ٤٤٨.

(١٣١) ورد في الأصل تاهو، والصحيح ما أثبته. ومعنى: (تَاهَ) يَتِيهُ (تِيهًا) تَكَبَّرَ، وَهُوَ أَتْيَهُ النَّاسِ وَ (تَاهَ) فِي الْأَرْضِ يَتِيهُ (تِيهًا) وَ (تَيَهَانًا) ذَهَبَ مُتَحَيِّرًا وَ (تَيَّهَ) نَفْسَهُ وَ (تَوَّهَ) نَفْسَهُ بِمَعْنًى، أَيْ حَيَّرَهَا وَطَوَّحَهَا. ينظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح ، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ، ج١.ص٤٧.

(١٣٢) ورد في الأصل فقاعو، والصحيح ما أثبته. والله أعلم.

(١٣٣) ورد في الأصل فقاعو، والصحيح ما أثبته. والله أعلم.

(١٣٤) زَجَى: الزَّاءُ وَالْجِيمُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى الرَّمْيِ بِالشَّيْءِ وَتَسْيِيرِهِ مِنْ غَيْرِ حَبْسٍ. يُقَالُ أَزَجَّتِ الْبَقَرَةُ وَلَدَهَا، إِذَا سَاقَتْهُ. وَالرِّيحُ تُزْجِي السَّحَابَ: تَسُوقُهُ سَوْقًا رَفِيقًا. فَأَمَّا الْمُزْجَى فَالشَّيْءُ الْقَلِيلُ، وَهُوَ مِنْ قِيَاسِ الْبَابِ، أَيْ يُدْفَعُ بِهِ الْوَقْتُ. وَهَذِهِ بِضَاعَةٌ مُزْجَاةٌ، أَيْ يَسِيرَةُ الِانْدِفَاعِ. ينظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ. ج.٣ص. ٤٨.

(١٣٥) مضض: أَمَضَّني الجرحُ إمْضاضاً، إذا أوجعَك. وفيه لغةٌ أخرى مَضَّني الجرح. والكُحْلُ يُمِضُّ العين، أي يحرقها. مَضٍّ، أي حارّ. والمَضَضُ: وجعُ المصيبةِ. وقد مَضِضْتَ يا رجل بالكسر تمض مضضا ومضيضا ومضاضة. ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م، ج.٣ص- ١١٠٦.

وقسمتُ الكتاب ثلاثة أقسام :

القسم الأول: في بيان الفرق المحقة والمبطلة في المعرفة، وكيفية الاستدلال بها، وهو **مشتمل على أربعة أبواب:**

الباب الأول: في اختلاف الفرق في المعرفة.

الباب الثاني: في إثبات المعرفة من الدلائل العقلية.

الباب الثالث: في أمثلة لسباحة المسبح في بحار المعرفة.

الباب الرابع: في استخراج وجوه الأدلة النظرية من الصنع.

القسم الثاني: في بيان ما تمسك به نفاة المعرفة حقيقة من حججهم النقلية، والعقلية، وهو مشتمل على أربعة أبواب:

الباب الأول: فيما جاء في نفي الإحاطة والكيفية.

الباب الثاني: فيما جاء في قصور معرفة الكفار.

الباب الثالث: فيما حوّل تأويله إلى نفي المعرفة جهلاً.

الباب الرابع: فيما تمسكوا به من حججهم العقلية في نفي حقيقة المعرفة.

القسم الثالث: في بيان نقل فتاوى الأئمة في المعرفة، وما يضاف إليها من الشرح، وهو مشتمل على أربعة:

الباب الأول: في نقل فتاوى الذين راغموا أهل التشبيه.

الباب الثاني: في شرح ما يشكل من كلمات فتاويهم.

الباب الثالث: في نقل فتاوى الذين راغموا أهل الإلحاد.

الباب الرابع: في قطع المماثلة بين الخالق والخلق على الإطلاق وإسقاط حرف التشبيه.

فهذه اثني عشر باباً في ثلاثة أقسام من اتخذها مِرآة لقلبه ينظر فيها بعين لبِّه مجرداً من الأهواء والتقليد اطلع منها على غوامض المعرفة والتوحيد، وبالله المعونة ومنه الإرشاد إنه رؤف بالعباد(١٣٦).

---

(١٣٦) من مزايا هذا المخطوط أنَّ المؤلف قسم كتابه إلى أقسام، وأبواب.

القسم الأول: في بيان الفرق المحقة والمبطلة في المعرفة وكيفية الاستدلال بها في الأبواب الأربعة:

الباب الأول: في اختلاف الفرق في معرفة الله تعالى.

اعلم أنَّه لما تحقق من صفات الله تعالى بأنَّه هو الأوَّل، والأخر، والباطن، والظاهر، والقريب، والبعيد، والشاهد، والغائب، والمنزه عن المكان مع أنَّه تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾(١٣٧)، وأنَّه غير داخل في العالم، ولا خارج عنه، ولا متصل به، ولا منفصل عنه، وأنَّ الوجوه الناظرة إليه الناظرة مع أنه لا يدركه الأبصار إلى غير ذلك من الصفات التي تبنى ظواهرها عن التناقض، والجمع، بين النفي والإثبات، تحيرت جماعة في المعرفة، وزعمت أنَّه تعالى إذا كان أولاً كيف يكون أخراً، وإذا كان باطناً كيف يكون ظاهراً، وإذا تنزه عن المكان كيف يكون معنا أينما كنَّا، إلى غير ذلك، فتوقفوا في المعرفة فسموا المتحيرة، والواقفية، وربما يسمون تلك الحيرة معرفة، ويستدلون فيها بالخبر، أو الأثر « يا دليل المتحيرين زدني تحيراً » (١٣٨)، ومنهم كثرة ولهم في ذلك خطب وأشعار بالعربية والعجمية.

وفرقة جنحوا إلى النفي/ المحض؛ وهم الدهرية(١٣٩)، والملحدة(١٤٠) خذلهم الله إلاَّ أنَّ الملحدة يلبسون على العوام، ويدلسون نفي الإله في التقديس، فإذا سئلوا هل هو موجود قالوا [١/أ]

---

(١٣٧) سورة المجادلة:٧.

(١٣٨) وينسب إلى كل من؛ يحيى بن معاذ بن جعفر الرّازي، والشبلي، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣، ج.٣ص. ٧٥٢، و إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت: ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح، وتع، محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة،ج.١ص.٣٦٣.

(١٣٩) الدهرية: هم الذين يقولون بقدم العالم وإنكار الصانع. وهم الفلاسفة الذين تابعوا أرسطو في القول بقدم العالم، وقدم حركة الأفلاك، ودوامها، ويطلق عليهم الفلاسفة الدهرية. والدهرية فرقتان: فرقة قالت: إنَّ الخالق - سبحانه - لما خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة، دارت عليه فأحرقته، ولم يقدر على ضبطها، وإمساك حركاتها. وفرقة قالت: إنَّ الأشياء ليس لها أول البتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل، فإذا خرج ما كان بالقوة إلى الفعل، تكونت الأشياء مركباتها، وبسائطها، من ذاتها لا من شيء آخر. وقالوا إن العالم دائم، لم يزل ولا يزال، لا يتغير، ولا يضمحل، ولا يجوز أن يكون المبدع يفعل فعلاً يبطل ويضمحل، إلا وهو يبطل ويضمحل مع فعله، وهذا العالم هو الممسك لهذه الأجزاء التي هي فيه. فبعض الدهرية يقرون بخالق للأفلاك لكنهم يقولون بفنائه، وأن العالم بقي يسير نفسه. وبعضهم يجحد وجود خالق للعالم، ويقول بأن الشيء أوجد نفسه بخروجه من القوة إلى الفعل. فقولهم ظاهر الكفر، وهو خارج عن الفطرة التي خلق البشر عليها. الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، آمال بنت عبد العزيز العمرو، د. س، ت،ط، ج. ١ص.٣٨٥، ودروس في العقيدة، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي. ج.٢ص. ٥.

(١٤٠) الملحدة: الإلحاد المصطلح عليه في هذا العصر يعني إنكار وجود الله، والقول بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، واعتبار تغيرات الكون قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة، وما تستتبع من شعور وفكر عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة. الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، آمال بنت عبد العزيز العمرو، ج. ١ص. ٣٣٦.

غير معدوم، وإذا سئلوا هل هو معلوم قالوا غير مجهول، وإذا سئلوا هل هو عالم قالوا غير جاهل، إلى غير ذلك من الصفات وهذا هو التمويه والتلبيس لا التنزيه، والتقديس، ومن أدلة النفي والتعطيل لا الاحتراز عن التشبيه، والتمثيل، تعالى الله عمَّا يصفون.

وفرقة من المشبهة قالوا: إلى طرف الإثبات فبالغوا فيه حتى؛ جرهم الاعتماد على التشبيه والتجسيم وادعوا أنَّهم يحيطون به علماً، وأنَّ أفكارهم تبلغ نهاية ذاته، وكنه صفاته؛ كما تبلغ نهاية الأجسام ذوات الأقسام.

وفرقة نفوا الإحاطة؛ ولكنَّهم ادعوا أنهم يعرفون الله كمعرفته بنفسه، وهو لا يقدر على أن يزيد عليهم في معرفة نفسه وصفاته.

وفرقة اعتقدوا أنَّ الاعتراف بالعجز عن المعرفة معرفة حقيقة، وأنَّ من ادعى كمال المعرفة فقد كذب، إذ لا يعرف الله إلَّا الله، وأنَّ رأس الصديقين يقول:(العجز عن درك الإدراك إدراك)(١٤١)، وسيد المرسلين يقول: «لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ »(١٤٢)، وأنا إن شاء الله بعد هذا أميز حق هذه الدعاوى من أباطيله بغاية وسْعي وطاقتي.

فإن قيل لقد ابتدعت في ادعائك، المعرفة ضرورية، والضرورات يتساوى فيها أقدام العقلاء، وأنَّ أهل الروم والهند والصين أكثرهم لا يعرفون وهم أكياس(١٤٣) عقلاء؟

الجواب: أجمع أهل على أنَّ معرفة الله في هذه الدار من طريق النظر، والاعتبار، ولكن من

---

(١٤١) ينظر: مرتضى، محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي ، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- ط، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م،ج.٩ص.٧٥، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، حاشية السيوطي والسندي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، هـ ١٤٠٦ - ١٩٨٦م،ج.١ص١٠٣.

(١٤٢) أخرجه مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)،صحيح مسلم: ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت- في باب ما يقال في الركوع والسجود، ج.١ص.٣٥٢، رقم الحديث٤٨٣، وابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه: ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، باب ما جاء في القنوت في الوتر، ج.١ص.٣٧٣، رقم الحديث١١٧٩، و أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود الأرنؤوط ، ت: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي ، دار الرسالة العالمية ، ١٤٣٠هـ ، باب الدعاء في الصلاة ، ج.٢ ص. ١٥٨، رقم الحديث١٥٨.

(١٤٣) كَيَسَ: الْكَافُ وَالْيَاءُ وَالسِّينُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ضَمٍّ وَجَمْعٍ. مِنْ ذَلِكَ الْكِيسُ، سُمِّيَ لِمَا أَنَّهُ يَضُمُّ الشَّيْءَ وَيَجْمَعُهُ. وَمِنْ بَابِهِ الْكَيْسُ فِي الْإِنْسَانِ: خِلَافُ الْخُرْقِ، لِأَنَّهُ مُجْتَمَعُ الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ، يُقَالُ رَجُلٌ كَيِّسٌ وَرِجَالٌ أَكْيَاسٌ. وَأَكْيَسَ الرَّجُلُ وَأَكَاسَ، إِذَا وُلِدَ لَهُ أَكْيَاسٌ مِنَ الْوَلَدِ. ينظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ج٥ص. ١٤٩.

شهرتها وجلائها تكاد تشهد بها جبلة الخلق، وفطرة النفوس؛ لأنه من بداية العقول أنَّ الحادث لا يستغني عن محادث، وحدوث أحوال العالم شاهد ضرورة غير مفتقر إلى فضل تأمل، وافتكار وتعمق نظر واعتبار.

فإنْ قيل إذا كان الدلائل العقلية، والشواهد الجبلية دالة على معرفة الله فما فائدة دعوة الأنبياء، وإرشادهم الخلائق إلى طريق النظر، والاستدلال؟

الجواب: إنما "جاءت"(١٤٤) الرسل بإيجاب المعرفة، التي دلت العقول عليها، وشهدت الفطرة بها، وتيسير آيات التوحيد لهم، بما أنزل إليهم من الكتاب كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(١٤٥)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (١٤٦)، وقوله: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١٤٧)، وقوله: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾(٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(١٤٨)، إلى غيرها من الآيات الباعثة على النظر، والاعتبار.

فإنْ قيل إذا كانت الفطرة شاهدة على المعرفة، فلا حاجة لنا إلى النظر، والتفكر؟

الجواب: هيهات أنَّ الفطرة لا تشهد على التوحيد المحض والصفات الكاملة إذ التوحيد، وصفات الكمال لا تدرك إلا بدلائل العقول في شواهد الصنع، والأنبياء أيضاً إنَّما "دعوا"(١٤٩) الخلق إلى التوحيد، وكمال المعرفة لا إلى أصل المعرفة، وقوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾(١٥٠)، ما علَّمك أصل المعرفة وإنَّما نبهك على التوحيد، كأنَّ تلخيص المعنى انظر إلى الآيات تعلم أنَّه لا إله إلا الله، وكذلك قوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(١٥١)، أي لم يعرفنا بأنَّه مولانا؛ لأنَّ ذلك معلوم بالأدلة العقلية، ولكنه عرفنا من طريق الاستدلال السابق أنَّ مولانا نعم المولى ونعم النصير فقوله (مولاكم) نعت لله والخبر في قوله (نعم المولى ونعم النصير) فالآية دالة على إرشاد الله عباده إلى كمال ولايته وغاية نصرته للمسلمين، قال خلاصة هذا الباب إلى أنَّ معرفة الله عقلية جبلية تكاد من الوضوح، والجلاء لا يتمارى فيها حد من العقلاء.

---

(١٤٤) ورد في الأصل (جأت)، والصحيح ما أثبته، والله أعلم.

(١٤٥) سورة الأعراف:١٨٥.

(١٤٦) سورة الغاشية:١٧.

(١٤٧) سورة يونس:١٠١

(١٤٨) سورة الذاريات: ٢٠-٢١.

(١٤٩) ورد في الأصل (دعووا)، والصحيح ما أثبته، والله أعلم.

(١٥٠) سورة محمد:١٩.

(١٥١) سورة الأنفال:٤٠.

الباب الثاني: في إثبات معرفة الله تعالى.

[أ/٢]

من الدلائل العقلية اجمع المسلمون قاطبة على كون معرفة الله تعالى واجبة، وشواهد الشرع دالة على وجوبها كقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾(١٥٢)، واجتمعت كآفة الأمم على أنَّه غير محسوس ولا مشاهد اليوم، واتفقوا على أنَّ مالا يكون محسوساً ضرورياً ولا بديهياً كان العلم به لا محالة عقليّاً نظريّاً، ومثل ذلك أن ينظر العاقل في أجسام العالم، وهيئاتها وتغير حالاتها واستحالاتها، وانقراض أعراضها المتعاقبة، وأوصافها المتساوية كالألوان/، والطعوم، والروائح، والعلوم، والحركات، والسكون، والاجتماع، والافتراق، والحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، والحياة، والموت، والجهل، والفطن، والشك، والعجز، والقدرة، والإرادة، والشهوة، والحزن، والخجل، والحب، والبغض، والسمع، والبصر، والعمى، والصم، والكلام، والخرس، والصوت، والسكوت، واللذة، والألم، والصحة، والمرض، والخفة، والثقل، فإنَّ تعاقب هذه الأوصاف الحادثة على الأجسام لازم، والأجسام لا تعقل عنها خالية وما لا يخلوا من الحوادث لم يسبقها وما لم يسبق الحوادث فهو حادث، أمَّا استحالة خلوها منه فمدركة بالبديهة فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان عقله مأوْفاً، وعن سنن الحق مصروفا، وأمَّا دليل حدوث هذه الأعراض فتعاقبها على الأجسام، وتناوبها، ووجود بعضها في أثر بعض، فالسابق واللاحق كلاهما حادثان إذ لو تحقق قدمهما لا استحال في العقل عدمهما، وأمَّا دليل حدوث ما لم يسبق الحوادث فهو أنَّ ما سبقته الحوادث إمَّا أن يكون معها، أو بعدها في كلتي الحالتين يجب حدوثه، و إن قل، وقيل كل حادث حوادث لا أوَّل لها فما لم تنقض تلك الحوادث بأجمعها لم تنته النوبة إلى وجود الحادث الحاضر في الحال، والقضاء مالا نهاية له محال؛ لأنَّه يؤدي إلى محال وما أدى إلى المحال فهو محال وسبيل استحالته أنه يقتضي أن لا يوجد حادث حتى ينقضي قبله حوادث لا غاية لآحادها ولانهاية لأعدادها؛ وهي التي لا أوَّل لها وانقضاء ما لا أوَّل له محال لأنه تعليق وجود الشيء ما لا يدخل في الوجود فقط وهذا ظاهر الاستحالة لمن تأمله، فإذا صح حدوث العالم كان افتقاره إلى محدث ضرورة وذلك؛ لأنَّ الحادث ما جاز وجوده و جاز انتفاؤه فإذا استوى طرفا وجوده وانتفائه افتقر إلى مخصص يرجح جانب وجود على إبقاء جائز؛ وذلك المخصص: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(١٥٣).

---

(١٥٢) سورة محمد:١٩.

(١٥٣) سورة الأنعام: ١٠٢.

الباب الثالث: في أمثلة لسابحة المسبح في بحار المعرفة.

قال (صلى الله عليه وسلم): «تفكُّرُ ساعةٍ خَيْرٌ من عبادةِ ستِّين سنة»(١٥٤)، فالتفكر تسبح والمتفكر سابح بقلبه في بحار الملكوت يصطاد فيها برهاناً إلى برهانه، ويزداد إيماناً مع إيمانه، وفيها يتفاوت أقدام السالكين، ومقامات العارفين، ودرجات المقربين، ولا أعني به تفاوت أصل المعرفة بل تفاوت المسالك، والاطلاع على الممالك، فمن كان أكثر سفراً كان أقرب إلى الله وأهيب لجلاله وعظمته، وكنت ذات ليلة متفكراً في هذه المسألة إذ غشيتني تعسة(١٥٥) فينا أنا بين النائم، واليقظان كأني أسمع قارئاً يقرأ بصوت دقيق: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (١٥٦)، فانتبهت مذعوراً(١٥٧) وتأملت في الآيات فإذا هي أيضاً في تفاوته، درجات الصافين، والمسبحين من الملائكة؛ وذلك أنَّ عوالم الله على كثرة أصنافها بالنسبة إلينا ثلاثة:

عالم لا يبلغ علم الإنسان إليه بحال كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾(١٥٨)، وقوله تعالى :﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١٥٩)، وهذا العالم لا يمكن للإنسان أن يتفكر فيه لجهله به.

وعالم عَلِمَ الإنسان وجوده من طريق السمع؛ ولكنه لا يشاهده، فيتفكر فيه؛ وذلك كالعرش والكرسي، واللوح، والقلم، وأصناف الملائكة، والجن، والشياطين، والجنة، والنار، ولعل مقامات الملائكة يتفاوت بقدر اطلاعهم على هذين العالمين.

---

(١٥٤) أخرجه درويش، محمد بن محمد ، أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي (ت:١٢٧٧هـ)، وينْسب إِلَى السّري السَّقطِي، وينسب إِلَى ابْن عَبَّاس أبضاً، وَإِلَى أبي الدَّرْدَاء، ينظر: أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، ج.١ص. ١١٣، والأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري (ت: ٣٦٩هـ)، العظمة، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: « فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً»، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المبار كفوري، دار العاصمة الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ ج.١ص.٢٩٩.

(١٥٥) التعس: الهلاك. ينظر: مرتضى، الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس ، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت،ج.١٥ص.٤٨١.

(١٥٦) سورة الصافات: ١٦٤.

(١٥٧) الذُّعْرُ، بالضَّمّ: الخَوْفُ، والفَزَعُ، وَهُوَ الِاسْم. و ذُعِرَ فلانٌ، كعُنِيَ ، ذَعْراً فهُوَ مَذْعُورٌ، أي أُخِيف، والذَّعْر بالفَتْح: التَّخْوِيفُ، كالإذعارِ. المصدر السابق، ج.١١ص ٣٧٠.

(١٥٨) سورة يس: ٣٦.

(١٥٩) سورة النحل: ٨.

[٣/أ]

وعالم ما يراه الإنسان ببصره، ويشاهده بنظره، ويمكنه التفكر فيه من أجسام السموات، والأرض وبينهما، وهو بحر لا ينقضي عجائبه؛ فسبيله أن يتفكر أولاً في نفسه، التي هي أقرب الأشياء إليه قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(١٦٠)، فيتأمل قامته وانتصابها، وأعضاه ومن أصلها، ويديه كيف يبطشان، ورجليه كيف تسعيان، وأصابعه كيف تنقبض وتنبسط، ويتفكر في أظفاره وهيئتها، والى العقارب وشكلها وحمَّتها، وينظر إلى الرياح وتصريفها سمومها، ونسيمها لا قحيها وعقمها عاصفها وقاصفها، وينظر إلى النيران وأشرافها وإحراقها ودخانها وإلهابها واغتلالها، واضطرابها، وينظر إلى الماء وصفائها، وعذوبتها/ وطهارتها، وجريها، وقبولها الألوان والحر والبرد، وينظر إلى أنواع النبات، والعقاقير، وصفاتها الحلوة، والمرة النافعة والمضرة كيف جعل الله بعضها أغذية وبعضها أدوية، وبعضها سموما مهلكة؛ وهي تسقى كلها بماء واحد فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه، وهذه قطرة من بحر زاجر، ورشاش من غيم ناظر، وأنَّى تذرع الأرض بقاع الذرة، أو يكال البحر بقشر ذرة هيهات هيهات.

الباب الرابع: في استخراج وجوه الأدلة النظرية من الصُّنع.

على معرفة الصانع وصفاته اعلم أنَّ النظر في أجزاء العالم على أربعة أنواع:

مباح، ومعصية، وكفر، وطاعة.

فالمباح: نظر العامة إلى كواكب السماء، وزخارف الأرض، ومحاسن الأشياء تلذذا للعيون وتفرجاً للقلوب بها.

والمعصية: كالنظر المنهي في الشرع إلى محارم، الأجنبيات والنظر إلى العورات.

والكفر: نظر الطبائعي إلى تركيب العالم ليردها إلى الطبائع ومن الطبائع إلى الهيولي التي يعتقدها قديمة.

والطاعة: على نوعين: نظر مندوب، ونظر واجب.

فالمندوب: كالنظر إلى المصحف، والكعبة، ووجه الوالدين وغيرها.

والواجب: النظر في هيئات العالم وتغاييرها فيستدل بالتغيير على الحدوث، وبالحدوث على محدث قديم لا يشبهه شيء، وما أحسن ما قال القاضي أبو العباس بن إسماعيل الروباني(١٦١): أن العاقل إذا نظر في شعرة من بدنه يعرف الله بصفات كماله، أجمع بتوفيقه وهو معنى قولهم:

---

(١٦٠) سورة الذاريات:٢١.

(١٦١) القاضي أبو العباس عبد الواحد بن اسماعيل بن أحمد الروباني، ينظر: ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين (ت: ٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، ت: د. سهيل زكار، دار الفكر، ج.٤ص.١٦٢٩.

(فِي أقل قَلِيل أدل دَلِيل على أجل جليل)(١٦٢). وأنا أوضح كيفية الترقي في معاريج الصنع إلى معرفة الله، ومعرفة صفاته واحدة واحدة، فأقول ليبدأ الناظر أولاً: **بالقصد إلى معرفة قدرته**(١٦٣) المستقلة: بإبداع العجائب الصالحة لاختراع الغرائب فينظر أنَّ الله تعالى كيف أخرج النار المحرقة من الشجر الأخضر، ومن الحديد والحجر، وكيف أخرج السنبلة المرصعة من الحبة، والنخلة الباسقة من نواة، والياقوت والزمرد من حصاة، والذهب والفضة من حجارة، والمسك من فارة، والعنبر من دابة، والعسل من ذبابة، والديباج من دودة، والورد من عودة، والسكر من قصبة، والقضب من خشبة، والإنسان من نطفة، ويتأمل كيف أرانا صورتنا في المرآة ولسنا فيها، ولا لون الحديد زائل عنها وكيف أرانا الصورة والعجائب في المنام وحواسنا راكدة فهذه وأشباهها تدل على كمال قدرة الله وأنه على كل شيء قدير.

ثم يقصد إلى معرفة علمه(١٦٤) الواسع: الذي وسع السموات، والأرض فينظر في سعة الهواء ولطافته فيتدرج به إلى إثبات علمه لأنَّه لما علم احتياج الناس إلى النفس واستنشاق الهواء جعل الهواء فسيحاً وسيعاً لطيفاً رقيقاً إذ لو لم يكن كذلك لأخنق الخلق من تراكم الدخان والبخار والضباب، ويتأمل كيف يدخل الشتاء على الصيف، والصيف على الشتاء بالتدرج قليلاً قليلاً علماً منه، أنَّه لو دخل أحدهما على الأخر مُغافَصَةً لأضر ذلك بالأبدان، وكان كما لو خرج إنسان من الحمام الشديد الحر، ودخل المثلجة في الحال فانظر كيف حاله، وكذلك لما علم أن الروائح الكريهة تضر بالدماغ كيف صرف الرياح جنوباً، وشمالاً حتى نطيب الهواء، وكذلك لما علم أنَّ الإنسان يحتاج إلى أكنان يستر بها من الحر والبرد وهي الأبنية المرفوعة بالطين والسقوف وتلك تنهدم بالحركة وتبتل بالماء فانظر كيف سكن هذه الأرض على الماء لثبات تلك الأبنية عليها وكيف قطع الماء عن هذا الربع المسكون من الأرض ليمكنهم العمارة عليه والتعيش به، ثم لما

---

(١٦٢) هو قول سمنون، بدون أجل جليل، ينظر: القناوي، شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة، أبو الحسن القفطي، ضياء الدين (ت: ٥٩٨هـ) حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، ت: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ، ج.١ ص.٣٩. وسمنون هو: سمنون بن حمزة الخوَّاص، أبو الحسن، أو أبو بكر صوفي ناسك، من الشعراء، له مقطوعات في غاية الجودة، وهو من أهل البصرة، سكن بغداد وتوفي بها في سنة ٢٩٠ هـ = ٩٠٣م ،. الزركلي، الأعلام، ج.٣ص. ١٤٠.

(١٦٣) القدرة: هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه وتكييفه، وهي من صفات المعاني. ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر دمشق – دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، ط٣٠، ص.١٢٢.

(١٦٤) العلم: هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها كشف الأمور والإحاطة بها على ما هي عليه في الواقع أو على ما ستكون عليه في المستقبل، وهي من صفات المعاني. المصدر السابق، ص. ١٢٠.

[٤/أ]

علم أنَّه في بعض الأحانين يحتاجون إلى التخويف لقساوة قلوبهم، فانظر كيف يزلزل عليهم الأرض؛ لينزعوا عن المعاصي كما قال: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾، (١٦٥)، ويتأمل أشكال الحيوانات، فإنَّه لما خلقها محتاجة إلى تناول الأغذية فما خلق قوائمه طويلة خلق أعناقه طويلة؛ ليمكنه تناول العلف من الأرض كالإبل، والنعام، والكركي(١٦٦) وغيرها، ثم لما جعل عنق الفيل قصيرة لحكمة رآها فانظر كيف طول أنفها أعني خرطومها؛ لتكون عوضاً من طول الرقبة، وكذلك كيف أقدر الآدمي/ على تناول الطعام بيده ووضعه في الفم لما صب قامته، ولم يطول رقبته، وكان ذلك من كرامته، وهذا غيض من فيض وأنَّى يبلغ الإنسان منتهى علم الله، وغاية حكمته في الأشياء يفهمه القاصر فإنه تعالى ربما أودع في صنع واحد ألوفاً من الحكمة، أما بقدر الطاقة البشرية ينظر في هذه الأشياء، وأمثالها فيستدل بها على سعة علمه، وكمال حكمته قطعاً منه بأنَّها في إيقانها وأحكامها، لا يقع إلا من عالم بحقائقها، وهو الخلاق العليم الحكيم.

ثم يقصد إلى معرفة إرادته(١٦٧) النافذة: فينظر في أعداد الكواكب وأشكالها، ويتفكر كيف يخضع العقل بجواز زيادة أعدادها؛ الذي هو لها وجواز النقصان عن العدد المعلوم، فيتحقق أنَّ اختصاص هذا العدد الموجود الذي هو لها مع غيره من الزيادة والنقصان إنَّما كان لإرادة باريها كذلك، وكذلك أشكالها ومقاديرها فإنَّه يمكن أن يكون المَجمُعة منها متفرقة، والمتفرقة مجمُعة، والصغير كبيراً وبعكسه، والخفي جلياً وبعكسه، فاختصاصها بهذه الحالات مع جواز غيرها في العقل يدل على إرادة القديم، ثم النكتة التي "حيرت"(١٦٨) الفلاسفة وأقحمتهم هي أنَّ جرم الفلك عندهم كرتي، وأجزاء الكرة في العقل متناسبة فلا يكون جزء منها إلا ويجوز أن يكون قطباً فاختصاص هذين القطبين الشمالي، والجنوبي بالقطبين المعلومتين دليل قاطع على إرادة الله، وتخصيصه إياهما بالقطبية دون غيرهما من الأجزاء المتشابهة الممكنة لجعلها قطباً وهذا دليل مسكت لنفاة الأدلة، وكذلك ينظر إلى عدد أوراق الورد فيرى بعضها أربعة، وبعضها خمسة، وبعضها ستة وبعضها أكثر إلى أربعين وإلى مائة، والعقل يجوز تخميس الأربعة وتربيع الخمسة

---

(١٦٥) سورة الإسراء:٥٩.

(١٦٦) الكُرْكِيُّ: طائرٌ؛ والجمع الكَراكِيُّ. الفارابي، ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت : ٣٩٣هـ)، منتخب من صحاح الجوهري، ج١ص.٤٤٢٩.

(١٦٧) الإرادة: هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى من شأنها تخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها، من وجود، وعدم، وتكيُّف بقطع النظر عن أيّ مؤثر خارجي، ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، وهي من صفات المعاني. ص. ١٢٠.

(١٦٨) ورد في الأصل خيرت الفلاسفة، والصحيح ما أثبته، والله أعلم.

وتثمين الستة إلى غيرها، فاختصاصها بهذه الأعداد دون غيرها مع الجواز دليل على ثبوت الإرادة لله، وأنَّه يريدها كذلك وأيضاً أن العقل يجوز تقديم المؤخر من هذه الأشياء، وتأخير المقدم منها بأوقات وأزمنة فاختصاصها بالوقت المعين دليل على أنَّ الله ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ (١٦٩)، وهذه أيضاً قطرة من بحار وذرة من قنطار.

ثم يقصد إلى معرفة حياته(١٧٠) القديمة: وذلك سهل بعد سلوك الناظر هذه الطرق التي بيناها إذ قد حصل له العلم بالقدرة، والإرادة، فيترقى منها إلى إثبات الحياة فتعلم قطعاً أنَّه حي إذ شرط العلم والقدرة والإرادة هو الحياة كما أنَّ شرط الحياة الذات الموجود فإذاً قد ثبت أنَّه الحي لا إله إلا هو.

ثم يقصد إلى معرفة السمع والبصر(١٧١)**:** وطريقها من الصُّنع أنَّ المتفكر إذا أحاط علمه بأنَّ أصوات الحيوانات، والجمادات، وألوان المتلونات مخلوقة، بما بيناه من الأدلة العقلية تَعلَّمَ قطعاً أنَّ خالقها سميع بصير، إذ تستحيل أن يخلق شيئاً وهو لا يدركه، ولا طريق إلى الأصوات إلا بالسمع ولا إلى درك الألوان إلا بالبصر فيعلم من ذلك أنه سميع بصير، وبهذا الطريق أيضاً يعلم أنه مدرك طعم المطعومات، وروائح المشمومات، ولمس الملموسات من حرارتها، وبرودتها ولينها وخشونتها بادراك؛ هو صفة له، وليس بذوق، وشم، ولمس لا لها اتصالات؛ وذلك في حقه محال.

ثم يقصد إلى معرفة كلامه(١٧٢)**:** وذلك أنَّه لما تحقق العلم من سلوك النهج المذكور، بأنَّ هذه الصنائع كلها صفة صانع، وملك المالك تام الملك متصرف في ممالكه كما شاء، ومن

---

(١٦٩) سورة هود: ١٠٧- والبروج: ١٩.

(١٧٠) الحياة: هي صفة أزلية قائمة بذاته تصحِّح لمن اتصف بها أن يتصف بالعلم والسمع والبصر وغيرهم من سائر الصفات لاستحالة وجود هذه الصفات بدونها، وحياته سبحانه أزلية أبدية لم يسبقها عدم سابق، ولا يطرأ عليها عدم لاحق، وهي ليست كحياتنا حادثة وقائمة بالروح ثم مآلنا إلى الموت. القول السديد شرح جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم اللقاني. تأليف: علي عثمان جرادي.ص.٦٩.

(١٧١) السميع: أي المتصف بالسمع. وضده الصمم. وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بواسطة صماخ وأذن. تنكشف به المسموعات. والبصير: أي المتصف بالبصر. وضده العمى، وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بواسطة مقلة ولا حدقة. تنكشف بها المبصرات ويتعلق السمع والبصر بالموجودات. فهاتان الصفتان من صفات المعاني. ينظر: الدكتور عبد الملك عبدالرحمن السعدي، شرح النسفية في العقيدة الإسلامية. ص.٥٧.

(١٧٢) الكلام: وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، هو بها آمر وناه ومخبر، عبر عنها نظم ما أوحاه إلى رسله كالقرآن والتوراة والإنجيل. ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، ص. ١٢٤. وهو من صفات المعاني، وذكرت اختلاف المتكلمين في كلام الله تعالى في الفصل الثاني.

ضرورة الملك أن يكون " آمراً "(١٧٣)، ناهياً في رعيته ليستتب ملكه والأمر والنهي كلام، فيجب أن يكون متكلماً؛ ولأنَّ ضد الكلام خرس، كما أنَّ ضد السمع صمم، وضد البصر عمي؛ وهي أفات ونقائص، والرب منزه عن الآفة والنقص، فيجب أن يكون سميعاً بصيراً متكلماً.

[٥/أ]

ثم يقصد إلى معرفة قدمه وبقائه(١٧٤)**:** وذلك أيضاً يتحقق العلم بحدوث العالم، وافتقاره إلى محدث وأنَّ المحدث لو كان أيضاً حادثاً لافتقر بحدوثه إلى محدث أخر يحدثه، وهلم جرَّاً حتى تسلسل وما يتسلسل لا يحصل، فيعرف ذلك يقيناً أنَّ الإله قديم دائم الوجود مستمر البقاء، لا أول لوجوده، ولا أخر لبقائه إذ لو جاز عدم القديم لجاز/ في العقل تقدير إعادته ثانياً كان من حيث تقدير الإعادة حادثاً، ومن عدم الأزلية قديماً فيلزم أن يكون الشيء الواحد حادثاً قديماً وهو محال قطعاً وبهذا يتحقق أن ما ثبت قدمه استحال عدمه.

ثم يقصد إلى معرفة قيامه بنفسه(١٧٥) **بلا نهاية:** وعُلِمَ ذلك من طريق الصنع أيضاً، هو إنا رأينا العرض مفتقراً إلى محلِّه غير قائم بنفسه، والجوهر قائما بنفسه متناهياً مفتقراً إلى موجد أوجده، فيتحقق من ذلك أنَّ الصانع قائم بنفسه بلا نهاية غير مفتقر إلى موجد؛ لتمتاز بقيامه بنفسه عن قبيل الأعراض، وبعدم تناهيه واستقائه عن الموجد عن قبيل الجواهر، فيفارق بذلك الصنع الذي هو جوهر، وعرض تعالى الله علواً كبيراً.

ثم يقصد إلى معرفة وحدانيته(١٧٦)**:** من طريق الصنع أيضاً، وهو إنا نشاهد أمور العالم مستقيمة جارية على النظام الحسن، فلو قدر للعالم إلهان لجاز في العقل تقدير خلافهما في تدبير المملكة، ومتى تخالفا اختلَّ نظام السموات، والأرض، ومن فيهنَّ؛ لأنَّ أحدهما يمكن أن يريد مثلاً طلوع الشمس من المشرق، والأخر يريد طلوعها من المغرب؛ فبالضرورة يبطل أحد المرادين، ويعجز الواحد منها لاستحالة طلوع الشمس الواحدة من المشرق، والمغرب معاً في وقت واحد،

---

(١٧٣) ورد في الأصل آميرا، والصحيح ما أثبته، والله أعلم.

(١٧٤) الصفات السلبية. منها القدم، والبقاء، ومعنى القدم: أنه لا أول لوجوده، فوجوده تعالى لم يسبقه عدم أصلاً، بخلاف وجود سواه، فإنَّه مسبوق بالعدم لا محالة، وقِدَم الله تعالى ذاتي وهو المقصود هنا، وهناك قِدَم زماني ويراد به طول المدة، فيقال: هذا بناء قديم أي مضى عليه زمان طويل، وهذا مستحيل على الله تعالى. والبقاء: وهو أنه لا آخر لوجوده ولا يطرأ عليه العدم أصلاً. ينظر: القول السديد شرح جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم اللقاني. تأليف: علي عثمان جرادي.ص.٦١.

(١٧٥) ومنها: القيام بالنفس ومعناها: عدم الافتقار إلى مُخصص أي موجد، ولا محل يَحويه، فيستحيل عليه سبحانه الافتقار إلى مُخصص في ذاته أو صفاته أو شأنه من شؤونه. ينظر: المصدر السابق، ص. ٦٣.

(١٧٦) ومنها: الوحدانية: ومعناها: أي اعتقاد أنَّ الله واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله. المصدر السابق، ٦٤.

فحينئذ مَنْ حصل مراده كان إلهاً، ومن عجز كان مخطأ عن رتبة الإلهية كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ، إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾(١٧٧)، وقال الترمذي: اثنين ليس لمجرد التأكيد ولكن في ضمنه دليل التوحيد؛ وذلك أن الاثنين مشتق من ثنيت(١٧٨) أي صرف، معناه لا تتخذوا إلهين ثانيين أي صارفين بشيء كل واحد منهما صاحبه عن مراده فإن قدرا كانا مقهورين وإنْ لم يقدرا كانا عاجزين.

ثم يقصد إلى معرفة تنزيهه عن المكان(١٧٩)**:** وطريقها إنا لما تحققنا بالأدلة العقلية أنَّ العالم هو موجود سوى الله حادث ومن "جملته"(١٨٠)، المكان يجب أن يكون الصانع قبل العالم فيجب أنَّه كان قبل المكان ويستحيل أن يتغير وصفه بخلق المكان فيحتاج إليه بعد الاستغناء؛ لأن التغير والحاجة تضاد صفة الكبرياء، وهذا هو معنى قول علي (كان ولا مكان ثم خلق المكان ولم يتغير عما كان) (١٨١).

ثم يقصد إلى معرفة جواز رؤيته(١٨٢)**:** وطريقها من الصنع البحث عن مصحح الرؤية في الجوهر والعرض؛ لأنهما مرئيان معاً فلابد فيهما من مصحح للرؤية يجمعهما، وليس يجمعهما صفة إلا الوجود والحدوث، ولا معنى للحدوث إلا الأخبار عن عدم سابق فلم يبق إلا الوجود فدل على كون كل موجود مرئياً والرب موجود فيجب أن يكون مرئياً في نفسه؛ فإذاً قد ثبت بسلوك هذه الطرق الجلية في معاريج الصنع أنَّ الله موجود قادر عالم مريد سميع بصير مدرك متكلم

---

(١٧٧) سورة النحل:٥١.

(١٧٨) لم أجده.

(١٧٩) ومنها: المخالفة للحوادث: ومعنى المخالفة للحوادث: أي عدم مماثلته للمخلوقات في أي صفة لها، فالله تعالى ليس له ند ولا ضد ولا شبيه ولا مثيل لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فكل ما تتصف به المخلوقات من الجِرْمية – الجسمية – المستلزمة للتحيز في المكان، أو العرضية المستلزمة للقيام بالأجرام فالله منزه عنها، وكما أنه غني عن المكان فكذلك غني عن الزمان، كان قبل خلق المكان والزمان. المصدر السابق، ص.٦٢.

(١٨٠) ورد في الأصل من جملة، والصحيح ما أثبته، والله أعلم.

(١٨١) وجدت هكذا، كان ولا مكان فهو قبل خلق المكان لم يتغير عما كان، في تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، ت : عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت ط١،- ١٤٢٣ هـ،ج.٢ص.٢١)، وفي تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، ، دار النفائس ـ بيروت ٢٠٠٥، ج.٣ص.٤. كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان.

(١٨٢) ذكرت في الفصل الثاني اختلاف فرق المسلمين في رؤية الله تعالى، وبينت موقف القزويني على رؤيته تعالى. في الصفحة ٣٥.

قديم باق قيوم واحد منزه عن المكان، مرئي بالعيون، فمن عرف الله من هذه الطرق بهذه الصفات الواجبة الإلهية فقد عرف حق معرفة وكُمِلَ إيمانه.

[٦/أ] **خاتمة** ثم إنَّ هاهنا دقيقة عميقة: وهي أنَّ معرفة الله لما كانت متلقاة من معارف الصنع كما شرحناه، وأنَّ من عرف الصنع عرف الصانع، ومن عرف نفسه عرف ربه والله يقول:﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١٨٣)، والآفاق والأنفس محدثة مقدرة محدودة متصورة ينتهي الفكر إلى نهايتها، ويبتدر الوهم إلى بدايتها، ويتصور في الذهن تماثيلها، ويتشكل في الخيال تصاويرها، والنفس لعرفانها معتادة، والعقل بتصويرها وتحديدها ألف، فإذا ترقي العقل منها إلى معرفة الصانع عن التمثيل والتصوير، والتحديد، يكاد الفكر يتلوه؛ لطلب التحديد، والخيال يسابقه لطلب التصوير، والوهم يساوقه لطلب التمثيل، وإنما يكون ذلك لِتَعوَّد ملازمتها العقل في معلوماته المحسوسة فيتبلد حينئذ الناظر ويتوقف الخاطر، اللهم إلا من أدركته العصمة، وساعده التوفيق؛ فيدارك نفسه في تلك الحال ويقول إني كل ما عرفته قبل هذا فكانت أجساماً متناهية، وأعراضاً فانية يصورها الخيال ويكنفها الفكر، والآن قد انتهت إلى معلوم قديم لا يشبه شيئا، ولا يشبهه شيء، فيا خيال أخنس فليس لك في مناله مطمع، ويا وهم/ ورآك فليس لك في ذاته وصفاته مجال، ويا فكر لو دنوت أنملة لاحترقت؛ أمَّا سمعت قول سيد البشر « لَا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ » (١٨٤)، ويا عقل اخلع حذاك وودع رفقاك فـ ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾(١٨٥)، ويا علم اشرب كأس المعرفة، رديئاً هنيئاً مريئاً، وإيَّاك أن تلتفت ورآك فـــ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١٨٦)، والله أعلم.

---

(١٨٣) سورة فصلت: ٥٣.

(١٨٤) أخرجه: الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري (ت: ٣٦٩هـ)، في العظمة، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة – الرياض- ط١، ١٤٠٨، في باب الأمر بالتفكر آيات الله عز وجل، ج.١ص٢١٧، رقم الحديث، ٦،. وقال البغوي: ضعيف بهذا اللفظ، ولمعناه شواهد يحسن بها إن شاء الله، والله الموفق. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ت : عبد الرزاق المهدي، ج.٤ص.٣١٦.

(١٨٥) سورة طه:١٢.

(١٨٦) سورة الشورى:١١.

القسم الثاني: في بيان ما تمسك به نفاة المعرفة حقيقة من حججهم النقلية والعقلية في الأبواب الأربعة:

الباب الأول: في شرح ما جاء في نفي الإحاطة والكيفية في ذات الله وصفاته، وقد حملها قوم على نفي المعرفة جهلاً:

فمنها: قوله تعالى:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾، على أنَّ بعض المفسرين(١٨٧) ذكر أنَّ (الهاء) راجع إلى ضمير ما في قوله:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾(١٨٨)، يعني أنَّ الله يعلم ما قبل الملائكة من الأمور الماضية، ويعلم ما خلفهم من الكواكب المستقبلة، وهم لا يحطون بذلك علماً كما قال في موضع أخر:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (١٨٩)، والعلم هاهنا هو المعلوم؛ لوقوع الاستثناء عليه إذ لا يجوز إحاطة الخلق بعلمه قط؛ لانَّ علمه غير متناه؛ ولأنَّه قال: (بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ) و(من) للتبعيض والعلم القديم لا يتبعض.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾(١٩٠)، أي لا تحيط به، قال الحسن:(١٩١) لا يقع عليه الأبصار ولا يهجم عليه العقول ولا تدركه " الأفهام "(١٩٢).

ومنها: حديث طويل رواه ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه دخل عليه رجل من نسل الحواريين فقال: السلام عليك يا محمد قال(صلى الله عليه وسلم): ادخل من أنت ومن أين

---

(١٨٧) منهم: الكلبي، والضحاك، والشربيني، ومقاتل بن سليمان، وفخرالدين الرازي. ينظر: الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت:٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة- عام النشر، ١٢٨٥هـ ج.٢ص.٤٨٥. و فخرالدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، خطيب الري (ت:٦٠٦هـ)، أسرار التنزيل، دار المسلم ـ جمهورية مصر العربية، ت: عبد القادر أحمد عطا ج.١ص. ١٣٩. والحنبلي، أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقي الحنبلى (ت بعد سنة ٨٨٠ هـ)، تفسير اللباب، ج.١ص.٣٦٠٧.

(١٨٨) سورة طه: ١١٠.

(١٨٩) سورة البقرة: ٢٥٥.

(١٩٠) سورة الأنعام:١٠٣.

(١٩١) أي الحسن البصري هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة، رضي الله عنه، ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت : إحسان عباس، دار صادر – بيروت- ط ، ١٩٠٠م، ج.٢ص.٦٩.

(١٩٢) ورد في الأصل ولا تدركه الأفهان، والصحيح ما أثبته، ينظر: الطحاوي، الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية والمسمى بـ ((إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل))، شرحها : الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ج.٢ص.٢٦.

أقبلت؟ قال: شمعون بن لوي بن يهوذا من حواري عيسى (عليه السلام) وأنا أُنزل سرنديب (١٩٣)، قال:(صلى الله عليه وسلم) وأين سرنديب؟ قال: ناحية مطلع الشمس، وقد أتيتك راجلاً لما سمعت رغبة فيما أنت عليه، وما جاءك وإنَّما سائلك عن خصال صعبة صَعُبَتْ على الأنبياء قبلك فان أخبرتني بهنَّ فأنت أحمد موصوف في التوراة والإنجيل، وإنْ لم تخبرني بها فلست بأحمد، واتق الله ولا تَنْسَبُ إلى لست(١٩٤) لذلك، وأني لأرى فيك خصالاً أرجو أن تكون أحمد ولا قوة إلَّا بالله فقال:(صلى الله عليه وسلم) إني مخبرك مما تسألني عنه فاطمأن، فالحمد لله الذي يختص برحمته من يشاء، وسلني يا شمعون عما بدا لك فقال: شمعون أخبرني عن الله أين هو؟ فقال:(صلى الله عليه وسلم) لا اله إلاَّ الله الذي يحمل ولا يُحمل، ويحمِد ولا يُحمد، ويكفي ولا يُكفى، ويعطي ولا يُعطى، ويصف ولا يُوصف، ويرحم ولا يُرحم، أخبرني يا شمعون عن الأين أيُّ شيء هو؟ فقال: إنَّ الأين مكان، فقال:(صلى الله عليه وسلم) إنَّ الأين كلام في أحرف (ألف، وياء، ونون) وهو مكان فقد كان حين لم يكن كلام ولا مكان ولا شيء لم يزل هو تبارك تعالى، ألا ترى أنك مخلق والله هو الخالق فهو كما هو ولا يعلم ما هو وكيف يعلم ما هو غيره، ولم يره العيون ولا يدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فالله لم يزل وليس لكينونته غاية ولا صفة والأمكنة، والله خالق كل شيء، ولا يقال له أين هو، ولا يقال كيف هو، ولا يقال ما هو، ولا يقال ينبغي له، ولا يقال من أين هو، ولا يقال إلى أين هو، ولا يقال تحرك، ولا يقال تنزل، ولا يقال تصعد، ولا يقال علا، ولا يقال سفل، ولا يوصف شيئا مما فيه العباد لا اله إلا الله الذي تغض الأبصار عن رؤيته، وينقطع علم العلماء عن صفته، ولا نقصان لخزانته، ولا رادَّ لقضائه، ولا مانع لمشيئته، ولا يحصى نعماؤه وهو بكل مكان كما هو شاهد كل نجوى كما شاء ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ ﴾(١٩٥)، الآية، ذرَاهُ وبرَاهُ لا مستورة ولا فكرة ولا عناء قال لكل ما أراد كن فكان لا شيء مثله، والله أعظم من أن يوصف، أو يحصى، قال

---

(١٩٣) سرنديب: بفتح أوّله وثانيه، وسكون النون، ودال مهملة مكسورة، وياء مثناة من تحت، وباء موحدة، هي الجزيرة الموجودة في جنوبي شرقي الهند وتعرف اليوم باسم (سيرلانكا) وكان العرب يدعونها (سرنديب)، ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ) معجم البلدان، دار صادر، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٥ م ج.٣ص. ٢١٥، وابن كثير، تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية، موقع الإسلام: ج.٢ص.٨١.

(١٩٤) ورد في الأصل ولا تَنْسَبُ إلى لست لذلك، والصحيح ولا تَنْسَبُ إليك لست لذلك؛ لأنَّ حروف الجر لا تدخل على الفعل، والله أعلم.

(١٩٥) سورة الأنعام: ٥٩.

شمعون: صدقت، هذا الحديث مما سمعته من الشيخ الإمام أبي الحسن بن أبي بكر الأسفراني(١٩٦) بإسناده وليس فيه مشكل إلا في ثلاثة مواضع:

أحدها:(حين لم يكن كلام) يريد به الحروف المركبة، ألا ترى أنه بينه بعد ذلك، فقال: واللفظ مخلوق.

والثاني: في قوله (ولا يعلم كيف يعلم ما هو غيره) يريد به العلم عن شهود، لا العلم عن نظر ودليل ألا ترى أنَّه قال بعده ولم تره العيون.

الثالث: قوله (ولا يوصف، وليس له صفة وأعظم/ من أن يوصف) وهو يريد به الوصف بما لا يليق بجلا له؛ من الصاحبة والولد، ألا ترى أنَّه بين ولا يوصف شيئا مما فيه العباد، وقوله ينقطع علم العلماء عن صفته، أي بمثيله وبكيفه إذ لا مثل ولا كيف. [٧/أ]

ومنها: ما جاء في دعاء النبي: (صلى الله عليه وسلم) وَلا حرَقَتِ الْاَوْهامُ حُجُبَ العيون إليك فاعتمدت مِنْكَ مَحْدُوداً في عَظَمَتِكَ، لا يَبْلُغُكَ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلا يَنالُكَ غَوْصُ الفِطَنِ، وَلا يَنْتَهي إلَيْكَ بصر الناظرين في مجد جبروتك ولا عَنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقينَ صِفاتُ قُدْرَتِكَ، ولا عن ذلك كبرياء عظمتك؛ إلى أن قال:(كَلَّتِ الْاَلْسُنُ عَنْ تَفْسيرِ صِفَتِكَ، وَانْحَسَرَتِ الْعُقُولُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِكَ)، وقوله(كَلَّتِ الْاَلْسُنُ عَنْ تَفْسيرِ صِفَتِكَ)، يمكن أن يريد بالصفة القرآن؛ لأنه صفة الله التي هي كلامه لا يبلغ أحد غاية تفسيره(١٩٧)، وقد روى عن علي(رضي الله) (لَوْ شِئتُ لأوقرتُ من تفسير الفاتحة سبعين بعيراً) (١٩٨)، وقوله (لا يبلغ أحد كنه معرفتك) الكنه: الغاية، ولا غاية له فإذاً لا كنه له، ويستحيل أن يكون له كنه، فيبلغ إليه معرفة أحد؛ فالمقصود هي الغاية عنه لا نفي المعرفة فافهم.

---

(١٩٦) لم أحصل على ترجمته.

(١٩٧) ينسب هذا الدعاء إلى علي رضي الله عنه، ولكن وجدت هكذا: وَلا خَرَقَتِ الْاَوْهامُ حُجُبَ الْغُيُوبِ إلَيْكَ، فَاعْتَقَدَتْ مِنْكَ مَحْدُوداً في عَظَمَتِكَ، لا يَبْلُغُكَ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلا يَنالُكَ غَوْصُ الْفِطَنِ، وَلا يَنْتَهي إلَيْكَ نَظَرُ النَّاظِرِ في مَجْدِ جَبَرُوتِكَ، إرْتَفَعَتْ عَنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقينَ صِفاتُ قُدْرَتِكَ، وَعَلا عَنْ ذلِكَ كَبيرُ عَظَمَتِكَ، لا يَنْقُصُ ما اَرَدْتَ اَنْ يَزْدادَ، وَلا يَزْدادُ ما اَرَدْتَ اَنْ يَنْقُصَ، لا اَحَدٌ شَهِدَكَ حينَ فَطَرْتَ الْخَلْقَ، وَلا نِدٌّ حَضَرَكَ حينَ بَرَأْتَ النُّفُوسَ، كَلَّتِ الْاَلْسُنُ عَنْ تَفْسيرِ صِفَتِكَ، وَانْحَسَرَتِ الْعُقُولُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِكَ. ينظر: دعاء الصباح لإمام المتقين وقائد الغر المحجلين الإمام أمير المؤمنين، دعاؤه لدفع الأعداء، المسمى باليماني.

www.haydarya .com / book _٠٧.

(١٩٨) الحسني، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط، ١٤١٩هـ ، ج.١ص.١١.

ومنها: قوله (صلى الله عليه وسلم) « تفكرُوا في آلاءِ اللهِ ولا تَفَكَّرُوا في اللهِ » (١٩٩)، وفي رواية « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » (٢٠٠)، فانَّ التفكر في خلق الله عبادة، وفي الذات كفر، وفي رواية « لَا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ » (٢٠١)، هذه الأخبار وردت في منع الفكر عن ذات الله؛ لأن تصرف الفكر إنَّما هو الاستطلاع على كيفية الصنع الذي هو الدليل والله هي مدلولة الدليل ولا كيفية لها فيتصرف فيها الفكر.

ومنها: ما روى عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أنه قال:(العَجْزُ عن درك الإدراك إدراك)، تقديره العجز عن أن يدركه الإدراك هو إدراك بعينه، ومعناه العجز عن أن يحيط به العقل هو المعرفة به تعالى. وقد جعل الشبلي(٢٠٢) بيتاً تاماً فقال: (العجز عن درك الإدراك

---

(١٩٩) أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، ت: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، رقم الحديث،٦٣١٩، ج.٦ص.٢٥٠. والبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت: ٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د.عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م، في باب أسامي صفات الذات، رقم الحديث، ١١٩، ج.١ ص.٢٦٢، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقال السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: ٩٠٢هـ)، أسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة والمعنى صحيح، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، باب حرف التاء المثناة، رقم الحديث٣٤٣، ج.١ ص.٢٦١.

(٢٠٠) أخرجه الغزالي: في إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي، ج.٧ص.١٠٦، والسيوطي ولكن بهذا اللفظ: (تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله)، جمع الجوامع أو جامع الكبير، ج.١ص.١١٠٨٧.

(٢٠١) سبق تخريجه في الصحيفة ٥٨.

(٢٠٢) دلف بن جحدر أبو بكر الشبلي هو: صوفي اختلف في اسمه فقيل: دلف بن جحدر، ويقال: اسمه جعفر بن يونس، حكى ذلك كله أبو عبد الرحمن السلمي في طبقاته وقال: كذا وجدت على قبره ببغداد مكتوباً يعني القول الأخير، وقيل دلف بْن جعترة، وقيل غير ذَلِكَ؛ هو الشبلي شيخ الصوفية وإمام أهل علم الباطن وذو الأنباء البديعة والإشارات الغريبة وأحد المتصرفين في علوم الشريعة أصله خراساني من مدينة أشروسة من قرية يقال لها شبلية ومنشؤه ببغداد كان عالماً فقيهاً على مذهب مالك. وسئل عن الزهد فقال: تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء وقال: التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك، ومات الشبلي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (٣٣٤ هـ) يوم الجمعة لليلتين بقيتا من الشهر وسنه سبع وثمانون سنة ودفن في مقبرة الخيزران ببغداد وقبره بها معروف رحمة الله تعالى عليه. قال أبو بكر الرازي: لم أر في الصوفية أعلم من الشبلي. ينظر: ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمري (ت: ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة ج.١ص. ١٦٣، والبغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد وذيله، دار الكتب العلمية – بيروت- دراسة وت: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧هـ، ج.١٤ص.٣٩١.

إدراك، والوقف عن درك الإدراك إشراك)، يعني إن توقفت، وتشكلت في أنَّه هل يحط به الإدراك لأشركت به، وهو شرح المصراع الأوَّل، إذ معناه لو توقفت، وتشكلت في أنه هل يحيط به الإدراك لأشركت به؛ لأنه شبهته بالأجسام.

وكذلك ما روى عنه أيضاً (سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته)(٢٠٣)، قال الجنيد: هي أشرف كلمة في التوحيد. وفي رواية (سبحان من جعل العجز عن معرفته عين المعرفة). ومثله يروى عن شهاب بن عبد الله التستري(٢٠٤): سبحان من لم يدرك العباد من معرفته إلا عجزاً عن معرفته)(٢٠٥)، اعلم أنَّ المعرفة المقرونة بالعجز في هذه الكلمات، يراد بها الإحاطة به والتكليف، والمعرفة الثانية يراد بها العلم (٢٠٦) تعالى.

ومثل ذلك في الكلام كثير وقد جاء في شعر الجعفي(٢٠٧): ويَرى التَّعظُّم أنْ يُرَى مُتَواضِعاً ... وَيَرى التَّواضُعَ أنْ يُرى مُتَعظِّما(٢٠٨)، التعظم الأوَّل: الرفعة. والتعظم الثاني: التكبر على الناس. والتواضع الأول: توقر الناس. والتواضع الثاني: الوضاعة والذل.

---

(٢٠٣) هو قول الصديق رضي الله عنه، ينظر: العرباوي، عمر العرباوي الحملاوي (ت: ١٤٠٥هـ)، كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»، مطبعة الوراقة العصرية، تاريخ النشر: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م، ج.١ص.٤٦، ودهلوي، محدث هند شاه ولي الله دهلوي رحمه الله، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، تصحيح و مراجعه سيد جمال الدين هروي، د.ت، ج.٥ص.٨١.

(٢٠٤) شهاب التستري هو: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التّستري، ولد بمدينة تستر في سنة مائتين(٢٠٠هـ)، وقيل: إحدى ومائتين. وإلى هذه المدينة ترجع نسبته (التستري) وهذه المدينة من أعظم مدن خوزستان، (وتفرد بعض الناس بجعل تستر مع الأهواز، وبعضهم يجعلها مع البصرة ... وجعلها عمر بن الخطاب من أرض البصرة لقربها منها. أما وفاته فكانت بالبصرة سنة (٢٨٣ هـ)، وقيل سنة (٢٧٣ هـ)، وقيل سنة (٢٩٣ هـ)، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت- لبنان- عام النشر:١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، ج.١٦ص.١١)، وابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر – بيروت ط، ١٩٠٠م، ج. ٢ص. ٤٢٩، والتستري، في تفسيره، جمعها، أبو بكر محمد البلدي، ت: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية – بيروت- ط١، ١٤٢٣هـ، ج.١ص.٤.

(٢٠٥) ينظر: الكلاباذي أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الحنفي (ت: ٣٨٠هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية – بيروت د.ت، ج.١ص.٦٧.

(٢٠٦) ورد في أصل يراد بها العلم تعالى، أعتقد الأولى أن يقال:(يراد بها علمه تعالى) كان أوضح، والله أعلم.

(٢٠٧) الجعفي هو: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور، وقيل: هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار، ومولده في سنة ثلاث وثلاثمائة أو ست وثلاثمائة، بالكوفة في محلة تسمى كندة فنسب إليها، والله أعلم. وقتل في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر – بيروت – ط ١٩٠٠م، ج.١ص. ١٢٣، والبصري، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م، ج.١١ص. ٢٨٩.

(٢٠٨) ينظر: المنصف للسارق والمسروق منه، تحقيق وقدم له: عمر خليفة بن ادريس، جامعة قات يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م، ج.١ص.٢٣٥.

فمعنى قول الصديق إنَّ من انتهى في المعرفة إلى حد يعجز عقله عن تكيف الرب، والإحاطة بذاته، فقد عرف الله حق المعرفة إذ لا حد لذاته، ولا كيفية، ومن لم يعقله عقله عن طلب الإحاطة به فقد أشرك؛ وهذا أحسن مما قيل فيه وأُشْرِحَ، وقيل أنَّ المعرفة إن كانت في الابتداء كسبية؛ فإنها تصير في الانتهاء ضرورية، لا يقدر العارف أن يدفعها عن نفسه، فإذا عجز عن دفع المعرفة عن قلبه فقد عرفه تعالى؛ وهو معنى قولهم: العجز عن المعجوز عنه كالقدرة عن المقدور عليه، فإنَّ المُقعِد الزمن عاجز عن القعود إذ ليس ذلك بكسبه، والقعود موجود فيه وهو المعجوز عنه، وقيل إنَّ العارف مادام في الطلب كان قادراً على المعرفة فإذا وصل عجز إذ الحاصل لا يطلب.

ومنها: ما روى عن علي(كرم الله وجهه) في نهج البلاغة (انحسرت الأوهام عن كنه معرفته، ودعت العقول فلم يجد مساغاً إلى بلوغ غايته، حتى قال: (لم تبلغ العقول بتحديد فيكون منبها، ولم يقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلا(٢٠٩)، وقد ذكرنا معناه في نظائره.

[٨/أ]

ومنها: ما رواه أبو سعيد الخدريِّ(رضي الله عنه) عن النبي: (صلى الله عليه وسلم)، « أَنَّ الإِنْسَ، وَالْجِنَّ، وَالشَّيَاطِينَ، وَالْمَلائِكَةَ [مُنْذُ] خُلِقُوا، إِلَى أن فنُوا لو صُفُّوا/ صَفًّا وَاحِدًا، مَا أَحَاطُوا بِاللَّهِ أَبَدًا »(٢١٠)، رواه الثعلبي(٢١١) في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾(٢١٢).

(٢٠٩) وجدت في شرح نهج البلاغة هكذا: الحمد لله الذى انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته ، وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكوته لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها ، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلا. ينظر: أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد عز الدين (ت: ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج.٩ص.١٨١.

(٢١٠) أخرجه الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان- ط١، ١٤٢٢هـ، ج.٤ص. ١٧٦، والشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت: ١٢٥٠هـ)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ت:عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، باب فضائل القرآن، ج.١ص٣١٥،.والملاح، أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح، الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره، قدم له: فضيلة الشيخ عبد الله بن مانع الروقي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م، ج.١ص.١٧٥. بزيادة (لو) في الحديث هكذا « لو أَنَّ الإِنْسَ، وَالْجِنَّ، وَالشَّيَاطِينَ، وَالْمَلائِكَةَ [مُنْذُ] خُلِقُوا، إِلَى أن فنوا لو صُفُّوا صَفًّا وَاحِدًا، مَا أَحَاطُوا بِاللَّهِ أَبَدًا.

(٢١١) الثعلبي هو : الإِمَامُ الحَافِظُ العَلاَّمَةُ، شَيْخُ التَّفْسِيْرِ، أَبُو إِسْحَاقَ، أحمد بن محمد ابن إِبْرَاهِيْمَ النَّيْسَابُوْرِيُّ. كَانَ أَحدَ أَوْعِيَةِ العِلْمِ، لَهُ كِتَاب "التَّفْسِيْرِ الكَبِيْرِ"، وَكِتَاب "العرَائِس" فِي قصَص الأَنْبِيَاء وتُوُفِّيَ فِي المُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة، ط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ج.١٣ص.١٤٥.

(٢١٢) سورة الأنعام:١٠٣.

ومنها: قول الشافعي(٢١٣) في صدر رسالته: الحمد لله الذي لا يبلغ الواصفون كنه عظمته؛ بل هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه الواصفون من خلقه، قد ذكرنا أنَّه لا كنه لعظمته فيبلغه أحد، وقوله (فوق ما يصفه الواصفون) يعني به الذين يصفونه بما لا يليق بقدس جلاله، وطهارة عظمته ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٢١٤).

ومنها: قول بعض المفسرين (٢١٥) في معنى "الصمد" أنه لَمْ يُعْطِ لِخَلْقَهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ إِلَّا الِاسْمَ وَالصِّفَةَ، وما يَتَّسِعُ لَهُ اللِّسَانُ أَوَ يُشِيرُ إِلَيْهِ الْبَنَانُ من تعظيم، أو تفريد، أو توحيد فهو معلول، والحقيقة وراء ذلك، سنذكر معنى الاسم، والصفة؛ بعد إن شاء الله، أما قوله (أو توحيد) يريد به أنَّه إذا أشار الموحد عند كلمة التوحيد ببنانه؛ فانه يشير إلى ذات في مقابلته وإنَّما يشير إلى معنى الوحدانية.

ومنها: ما روى عن يعقوب النهرجوري(٢١٦)، إنَّ الذي حصل عليه أهل الحقائق فِي حَقَائِقِهِمْ أَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مَفْقُودٍ فَيُطْلَبُ، أو ذو غاية فيدرك(٢١٧).

---

(٢١٣) مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيْسَ بنِ العَبَّاسِ، توفي بمصر في سنة أربع ومائتين. ينظر: ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمري (ت: ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ت، وتعليق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج.٢ص. ١٥٦.

(٢١٤) سورة الأنعام: ١٠٠.

(٢١٥) منهم: أبو جعفر الرازي التميمي المروزي، تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ج.١٠ص. ٣٣٥، وقِيلَ هُوَ الَّذِي لَا تُدْرِكُ حَقِيقَةَ نُعُوتِهِ وَصِفَاتِهِ فَلَا يَتَّسِعُ لَهُ اللِّسَانُ وَلَا يُشِيرُ إِلَيْهِ الْبَنَانُ، ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ) مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ج.١٧ص. ٢١٨. وذكره خالد النيسابوري: إنَّ ما يتسع له اللسان أو يشير إليه البيان من تعظيم أو تفريد أو توحيد أو تجريد فهو مطول ، والحقيقة وراء ذلك لا تحبط به العلوم ولا يشرق عليه أحد لأن الصمد به ممتنعة عن جميع ذلك، النيسابوري، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، ت: سيد عمران، دار الكتب العلمية لبنان - بيروت ط، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م،ج.٢ص.٤٢٩.

(٢١٦) النهرجوري هو: أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّهْرَجُورِيُّ الصوفيُّ. (ت: ٣٣٠ هـ)، كَانَ ذَا نُورٍ زَاهِرٍ وَحُضُورٍ شَاهِرٍ إِسْحَاق بن مُحَمَّد أَبُو يَعْقُوب النهرجوري، من كبار مَشَايِخ الصُّوفِيَّة وعلمائهم جاور بِمَكَّة سِنِين كَثِيرَة وَمَات بهَا سنة ثَلَاثِينَ وثلاثمائة، من كَلَامه مفاوز الدُّنْيَا تقطع بالأقدام ومفاوز الْآخِرَة تقطع بالقلوب وَقَالَ العابد يعبد الله تَعَالَى تخويفاً والعارف يعبد تَشْرِيفًا وَقَالَ احترزوا من النَّاس بِسوء الظَّن بِأَنْفُسِكُمْ لَا بِالنَّاسِ وَقَالَ من كَانَ شبعه بِالطَّعَامِ لم يزل جائعاً وَمن كَانَ غناهُ بِالْمَالِ لم يزل فَقِيرا وَمن قصد بحاجته الْخلق لم يزل محروماً وَمن اسْتَعَانَ على أمره بِغَيْر الله لم يزل محذولاً وَقَالَ الدُّنْيَا بحرٌ وَالْآخِرَة سَاحل وَالتَّقوى هِيَ الْمركب وَالنَّاس سفرٌ. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، ج.٨ص. ٢٧٥، والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ت: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م ج.٧ص. ٥٨٧.

(٢١٧) ورد في حلية الأولياء هكذا: " الَّذِي اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ فِي حَقَائِقِهِمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَيْرُ مَفْقُودٍ فَيُطْلَبُ وَلَا لَهُ غَايَةٌ فَيُدْرَكُ وَمَنْ أَدْرَكَ مَوْجُودًا فَهُوَ بِالْمَوْجُودِ مَغْرُورٌ وَالْمَوْجُودُ عِنْدَنَا مَعْرِفَةُ حَالٍ وَكَشْفُ عِلْمٍ بِلَا حَالٍ، الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، ١-

ومنها: قول ابن عطاء(٢١٨) المعرفة معرفتان: معرفة حق، ومعرفة حقيقة، فمعرفة الحق معرفة وحدانية على ما أثبت للخلق(٢١٩) من الأسامى والصفات. ومعرفة الحقيقة لا سبيل إليها؛ لامتناع الصمدية، وتحقيق الربوبية، لقوله تعالى(٢٢٠):﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾(٢٢١).

ومنها: قول بعض المحققين(٢٢٢) أركان التوحيد سبعة أفراد:

إفراد القديم عن المحدث. وتنزيه القديم عن إدراك المحدث له. وترك التساوي بين النعوت.

وإزالة العلة عن الرؤية. وإجلال الحق عن أن يجرى قدرة الحدث عليه. وتنزيهه عن التدبر، والتأمل. وتنزيهه عن القياس.

ومنها: ما روى عن جعفر الخُلدي(٢٢٣) أنَّه قال: سألت ثلاث مسائل عدة من المشايخ فلم يجبني أحد حتى رأيت النبي:(صلى الله عليه وسلم)، في المنام فقلت يا رسول الله أشكل علي ثلاث مسائل فلا يحلها أحد فقال :(صلى الله عليه وسلم) هات بهنَّ، فقلت: ما التصوف؟ قال: ترك الدعاوى وكتمان المعاني.

دار الكتاب العربي – بيروت- ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- دار الكتب العلمية- بيروت ط، ١٤٠٩هـ بدون ت، ج.١٠ص.٣٥٦.

(٢١٨) ابْن عطاء هو: أَحْمد بن مُحَمَّد بن عبد الْكَرِيم بن عَطاء الله الشَّيْخ الْعَارِف تَاج الدّين أَبُو الْفضل الإسكندري)، كَانَ رجلا صَالحا يتَكَلَّم على كرْسِي فِي الْجَامِع بِكَلَام حسن وَله ذوق وَمَعْرِفَة بِكَلَام الصُّوفِيَّة وآثار السّلف وَله عبارَة عذبة لَهَا وَقع فِي الْقُلُوب وَكَانَت لَهُ مُشَاركَة فِي الْفَضَائِل وَكَانَ تلميذاً لأبي عَبَّاس المرسي صَاحب الشاذلي وَكَانَ من كبار القائمين على الشَّيْخ تَقِيّ الدّين ابْن تَيْمِية وَكَانَت لَهُ جلالة توفّي بالمنصورية فِي الْقَاهِرَة سنة تسع وَسَبْعمائة. الصفدي، الوافي بالوفيات ج.٨ص.٣٨.

(٢١٩) ورد في الأصل على ما أثبت للخلق، والصحيح على ما أبرز للخلق. النيسابوري، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم ، أبو عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، ت: سيد عمران، دار الكتب العلمية لبنان بيروت- ط،١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ج.١ص.٤٤٩.

(٢٢٠) المصدر السابق، ج.١ص.٤٤٩.

(٢٢١) سورة طه: ١١٠.

(٢٢٢) منهم الجنيد رحمه الله تعالى عنه، ولكن ورد هكذا: أركان التَّوْحِيد سَبْعَة:

إِفْرَاد الْقدَم عَن الْحَدث وتنزيه الْقَدِيم عَن إِدْرَاك الْمُحدث لَهُ. وَترك التساوي بين النعوت. وَإِزَالَة الْعلَّة عَن الربوبية وإجلال الْحق عَن أَن تجرى قدرَة الْحَدث عَلَيْهِ فتلونه. وتنزيهه عَن التَّمْيِيز والتأمل. وتبرئته عَن الْقيَاس.

ينظر: الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الحنفي (ت: ٣٨٠هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص. ١٣٤، وابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م ج.٣ص.٤١٢.

(٢٢٣) جعفر الخُلْدِيّ هو: الشَّيْخُ الإِمَام القُدْوَة المحدِّث شَيْخ الصُّوْفِيَّة، أَبُو مُحَمَّدٍ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ نُصَيْر بنِ قاسم البغدادي، ولد في سنة (٢٥٣هـ)، وتوفِّي سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ فِي رَمَضَانَ(٣٤٨هـ)، وَلَهُ خَمْسٌ وَتِسْعُوْنَ سَنَةً. ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ج.١٢ص. ١١٥.

فقلت ما التوحيد؟ قال: ما حده فكرك، أو أحاط به وهمك، أو أصبت حواسك فالله بخلاف ذلك، وإنما مجرد التوحيد من أربعة من الشرك، والشك، والتشبيه، والتعطيل.

قلت ما العقل؟ قال: أدناه ترك الدنيا وأعلاه ترك التفكر في ذات الله (٢٢٤).

ومنها: قول أبي المعالي الجويني(٢٢٥) الوقف عند معتقد محصل تشبيه وتمثيل، والأعراض عن النظر والاستبدال إبطال، وتعطيل، وليس إلى درك الحق سبيل، ألا ترى أنَّه نفى الدرك عنه، والدرك والإدراك، الإحاطة بالشيء والإحقاق به واستغراقه تحت الفكر، وكان كثيراً ما يقول من محارات العقول درك الذات، وقال في خطبته المشهور: غرقت في بحور صمديته علوم العلماء، وبرقت في وصف سرمديته عقول العقلاء، ولم يحصل فيه أهل الأرض، والسماء؛ إلا على الصفات والأسماء، يعني إنَّهم يسمونه، ويصفونه، ولا يحطون بذاته فيشبهونه(٢٢٦).

ومنها: فصل لطيف للأستاذ زين الإسلام أبي القاسم القشيري(٢٢٧) حكاه صاحب" الغرر والدرر" في كتابه وهو قوله: هو باستحقاق قِدَمِه أوَّل، ولاستحالة عدمه أخر، ويعز علوه ظاهر، وبأزلية حكمه باطن، فالأوهام عن الترقي إلى حدود التحديد في نعته متقاصرة، والعقول عن درك كنه جبروته حسيرة، والعلوم عن مزاولة إحاطة حقه فانية، والأبصار عن الطمع في إدراك

---

(٢٢٤) لم أجده.

(٢٢٥) الْمُلَقَّبُ بِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، لِمُجَاوَرَتِهِ بِمَكَّةَ أَرْبَعَ سِنِينَ، كان مولده في تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ في الخامس وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ في(ثمان وسبعين وأربعمائة)، عَنْ تسعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. ينظر: البصري، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي،ج.١٢ص. ١٥٧.

(٢٢٦) قول الجويني: ورد هكذا: غَرِقَتْ فِي نُورِ سَرْمَدِيَّتِهِ عُقُولُ الْعُقَلَاءِ، وَبَرَقَتْ فِي وَصْفِ صَمَدِيَّتِهِ عُلُومُ الْعُلَمَاءِ، وَلَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ أَهْلُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ إِلَّا عَلَى الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ، أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، (ت: ٤٧٨)، غياث الأمم والتياث الظلم، ت: د. فؤاد عبد المنعم ، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، سنة النشر ١٩٧٩م، مكان النشر الاسكندرية ج.١ص.٦.

(٢٢٧) زين الإسلام هو: عبد الْكَرِيم بن هوَازن بن عبد الْملك بن طَلْحَة بن مُحَمَّد النَّيْسَابُورِي الْأُسْتَاذ أَبُو الْقَاسِم الْقشيرِي الخُرَاسَانِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ الشَّافِعِيّ الصُّوْفِيّ الملقب زين الْإِسْلَام الإِمَام مُطلقًا، وَصَاحب الرسَالَة الَّتِي سَارَتْ مغربا ومشرقا والبسالة الَّتِي أصبح بهَا نجم سعادته مشرقا والأصالة الَّتِي تجَاوز بهَا فَوق الفرقد ورقى أحد أَئِمَّة الْمُسلمين علما وَعَملا وأركان الْملَّة فعلا ومقولا إِمَام الْأَئِمَّة، ولد فِي ربيع الأول سنة سِتّ وَسبعين وثلاث مائة – أو خَمْسٍ وَسَبْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَة، وتوفّي رَحمَه الله فِي صَبِيحَة يَوْم الْأَحَد السَّادِس عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وَسِتِّينَ وَأَرْبَعمِائَة وَدفن فِي الْمدرسَة إِلَى جَانب أستاذه أبي عَليّ الدقاق. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج.١٣ص.٣٩٥، والسبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت : ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ ج.٥ص. ١٥٣.

صمديته غير النظر إلى وجهه عاجزة، والمعارف بالإشراف على حقائق كونه معترفة؛ تنطق الألسنة بثنائه بشرط استيعاب الأزمنة وقصاراها، العجز، وتصعد العبارات مستغنية بدقائق الإشارات مريدة لحقائق الصفات فتعود بقناع الخجل منتقبة، وبإظهار التوبة مفصحة، وقد نظمت أبياتاً في التوحيد منها ما يناسب معناه هذا الطرز(٢٢٨) وهو قولي: في بحر هيبته وتيه جلاله، غرقت وتاهت غاية الأفكار، سجدت على عتبات عزته له، جهات كل منظر جبار.

ومنها: فصل من كلام بعض الكبراء في نفي أدوات الحدثان عن ذاته وهو قوله ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾(٢٢٩)، ولا تهجم عليه الظنون، ولا يقطعه بعد، ولا يصادره /من، ولا يوافقه عن، ولا يلاصقه إلى، ولا يحله في، ولا يوقيه إذ، ولا يوافره إن، ولا يظله فوق، ولا يفله تحت، ولا يقابله هذا، ولا يناخمه عند، ولا يأخذه خلف، ولا يحده أمام، ولا يظهره قبل ولا يفنيه بعد، ولا يجمعه كل، ولا يوجده كان، ولا يفقده ليس، ولا يستره خفاء، تقدم الحدث قدمه، والعدم وجوده، والغاية أزله، إن قلتَ متى فقد سبق الوقت، وإنْ قلت قبل فالقبل بعده، وإن قلت هو (فالهاء والواو خلقه)، وإن قلت كيف فقد احتجب عن الوصف ذاته، وإن قلت أين فقد تقدم المكان بوجوده، وإن قلت متى فقد سبق الوقت هويته، لا يجتمع صفتان لغير، وفي وقت، ولا يكون بهما على التضاد؛ وهو باطن في ظهوره ظاهر في استتاره القريب والبعيد، قوله (وإن قلت هو، فالهاء والواو وخلقه) يريد أنَّ اللفظ بهما مخلوق وهو إشارة إلى خلق الحروف.

[٩/أ]

ومنها: فصل حسن، وهو احتجب بالعزة، والكبرياء بلا مفاتنة، ولا مقايسة، ولا مماثلة، ولا مخالطة، ولا ممازجة، خلق الخلق لا لحاج، وصنع الأشياء بلا علاج، علة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه؛ لأنه مُعِلُّ الأشياء، ويعتل وبهما تصور في فهمك شيء فهو بخلافه، شعر: تعززت بالعز المنيع، فكل من أشار إلى عز فأنت عززته(٢٣٠).

ومنها: فصل خطير أورده الأنصاري(٢٣١) في " الغنية " وهو القديم يتعالى وجوده عن الامتداد، والاستمداد إذ لا تحين الأوقات، والآجال إذ لابد ولوجوده، ولا نهاية لثبوته؛ فإذ له أَبَدُهُ

---

(٢٢٨) أي في هذا الموضوع. ينظر: مرتضى، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية،ج.١٥ص.١٩٥.

(٢٢٩) سورة الأنعام:١٠٣.

(٢٣٠) لم أعرف هذا الشعر لمن.

(٢٣١) أبو القاسم الأنصاري هو : سلمَان بن نَاصِر بن عمرَان بن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إِسْحَاق بن يزِيد بن زِيَاد بن مَيْمُون بن مهْرَان، النَّيْسَابُورِي، كَانَ إِمَامًا فِي علم الْكَلَام وَالتَّفْسِير، وَأحد النبلاء، من تلامذة إِمَام الْحَرَمَيْنِ ، وَله كتاب " الغنية " وَغَيره، وتوفي (٥١١- ٥١٢هـ)، ينظر: ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت: ٦٤٣هـ)، طبقات الفقهاء الشافعية، ت: محيي الدين علي نجيب، دار

وقدمه بقاؤه، فهو أحدي الذات، صمدي الوجود، سرمدي الصفات، لا يناسب وجوده، وجود ذوي النهايات من الأزمنة، والجهات جل جلالته قدرته، وعز عن الإعزاز ذكره تبارك اسمه وتعالى جده، شعراً سامياً لم تزده معرفة، وإنما لذة ذكرناها، وكل من طب في وصفه أصبح منسوباً إلى الحق(٢٣٢).

ومنها: ما ذكره الثعلبي في تفسيره عند قوله :﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢٣٣)، إنَّ آدم:(عليه السلام) يقول: سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اعْتِرَافَ الْعَبْدِ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِهِ شُكْرًا، كَمَا جَعَلَ اعْتِرَافَهُ بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ مَعْرِفَةً(٢٣٤).

ومنها: ما روى عن العباس أنَّه خطب فقال: الحمد لله الذي جعل معرفة العارفين بالتقصير عن شكره شكراً لهم، كما جعل علم العارفين بأنَّهم لا يدركونه إيماناً لهم(٢٣٥)، وقد شرحنا معنى الإدراك في نظائره.

ومنها: ما روى عن الجنيد حين سُئِل عن المعرفة، فقال: تردد السِّرّ بَين تَعْظِيم الْحق عن الْإِحَاطَة وإجلاله عَن الدَّرك(٢٣٦).

قال صاحب المجمل(٢٣٧): الإدراك: اللحوق، والدركة: حلقة الوَتِرُ تقع في فُرْضَةِ القَوْسِ؛ لأنها تضبطها، وتحيط بها فقد صح حقيقة إدراك الإحاطة بالشيء.

البشائر الإسلامية – بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ج.١ص. ٤٧٧، والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ت: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م، ج.١١ص.١٩٢.

(٢٣٢) هو قو ل أبو طيب المتنبي: ولكن ورد هكذا: وَكُلُّ مَنْ أَبْدَعَ فِي وَصْفِهِ ... أصْبَح مَنْسُوبا إِلَى العَيّ)، البغدادي، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت: ٦١٦هـ)، شرح ديوان المتنبي، ت: مصطفى السقا- إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة – بيروت ج.٥ص.٣٤٩.

(٢٣٣) سورة البقرة: ٥٢-٦٥- آل عمران:١٢٣، مائدة: ٦- ٨٩، أنفال: ٢٦، النحل:١٤- ٧٨، الحج: ٣٦.

(٢٣٤) وهذا قول داود عليه السلام، وليس قول آدم عليه السلام، الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان- ط١، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢م، ج.١ص.١٩٦، والبغوي، ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي محيي السنة (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت- ط١ ، ١٤٢٠ هـ ج.١ص.١١٧.

(٢٣٥) لم أجده.

(٢٣٦) الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الحنفي (ت: ٣٨٠هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية – بيروت- د.س، ت، ط، ج.١ص.١٣٣.

(٢٣٧) هو: ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي؛ كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة؛ فإنه أتقنها، وألف كتابه (المجمل) في اللغة، وهو

الباب الثاني: في شرح ما جاء في قصور معرفة الكفار وقد حمله جماعة على معرفة المؤمنين جهلاً منهم بسبب النزول.

اعلم إني رأيت أكثرهم يتمسكون بقوله تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾(٢٣٨)، ويزعمون معناه: أنَّ الخلق لا يعرفونه حق معرفته؛ لأنَّ في تفسير ابن عباس ما عرفوا الله حق معرفته(٢٣٩).

و اعلم أنَّ الله أنزل في القرآن: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾، في ثلاثة مواضع:

الأول: في سورة الأنعام نزلت في نفاة النبوة، وما نعي كلام الله يقول: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء، قال ابن عباس: نزلت في ملك بن الضيف رئيس اليهود(٢٤٠) وكان سميناً فقال له:(صلى الله عليه وسلم) أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل وجدت في التوراة أنَّ الله يبغض الحِبر السمين، قال: نعم فقال: (صلى الله عليه وسلم) فأنت الحبر السمين قد سَمِنتَ من مأكلة اليهود، فضحك القوم، فغضب مالك، ثم التفت إلى عمر فقال: ما أنزل الله على بشر من شيء (٢٤١).

على اختصاره جمع شيئاً كثيراً، وله كتاب حلية الفقهاء، وله رسائل أنيقة، ومسائل في اللغة، وتوفي سنة تسعين وثلاث مائة - رحمه الله تعالى - بالري، ودفن مقابل مشهد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني. وقيل: إنه توفي في صفر سنة خمس وسبعين وثلاث مائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج.١ص.١١٨، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج. ١٢ص.٥٣٨.

(٢٣٨) سورة الأنعام:٩١.

(٢٣٩) لم أجده في تفسير ابن عباس، ولكن موجود في غيره، مثل: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ج.٧ص.٣٧، وتفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ) ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ج.٢ص.١٢٤.

(٢٤٠) هو: مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم، ينظر: السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: ٩٠٢هـ)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ج.١ص.٢٠٧.

(٢٤١) ينظر: النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)،أسباب نزول القرآن، ت: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت- ط١، ١٤١١ هـ ج.١ص. ٢٢٣، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت٩١١هـ)، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ج.١ص.٩٠، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت: مركز هجر للبحوث- دار هجر – مصر- سنة النشر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ج.٦ص. ١٢٦.

الثاني: في سورة الحج، نزلت في عَبَدة الأوثان، كانوا يحلون أصنامهم بالجواهر، واليواقيت فربما سقطت منها واحدة فتخطفها الطير فلا تقدر الآلهة على استردادها، فالطالب الطير، والمطلوب الأصنام(٢٤٢)، وقال ابن عباس: إنَّهم كانوا يلطخون الأصنام بالعسل، كل سنة فيقع عليها الذباب وتأكل منها(٢٤٣)؛ فذلك قوله :﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾(٧٣)، ثم قال: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٢٤٤).

[١٠/أ] **الثالث:** في سورة الزمر، نزلت في المشبهة؛ وذلك أنَّ رجلاً من اليهود جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وقال: يا محمد إنَّ الله يمسك السموات /على أصبع والجبال على أصبع، والأشجار على أصبع، وأشار إلى أصابعه الخمس، فتبسم (صلى الله عليه وسلم)، (٢٤٥) فأنزل الله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾(٢٤٦) الآية، ومعنى قوله ﴿ في قَبْضَتُهُ ﴾ أي مملكته كما يقال الولاية في قبضة فلان، وقوله: ﴿ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾، أي مجموعات في قدرته(٢٤٧)، كما قال:﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾(٢٤٨). وقيل معناه مفنيات بقسمه(٢٤٩) يقال أطوِ هذا الحديث، ومعنى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾، القدر العظم يقال لفلان قدرٌ أي عظمة، وهو تفسير ابن عباس في إحدى الروايتين، وما عظموا الله حق تعظيمه (٢٥٠).

---

(٢٤٢) الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار النشر دار الفكر – بيروت، د.س، ت، ط، ج.٣ص.٤٧١.

(٢٤٣) ابن عباس: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب إليه، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان، د. س، ت، ط، ج.١ص.٢٨٤، والزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. س، ت، ط ، ج.٣ص.١٧٣.

(٢٤٤) سورة الحج: ٧٣-٧٤.

(٢٤٥) النيسابوري: أسباب نزول القرآن، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م ج.١ص.٢٧١.

(٢٤٦) سورة الزمر: ٦٧.

(٢٤٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣م، ج. ٨ص.٥٩٤.

(٢٤٨) سورة النساء: ٣٦.

(٢٤٩) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت-،ج.٤ص.١٤٧.

(٢٥٠) ابن عباس: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب إليه، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، ج.١ص.١١٤.

والنكتة التي تشعب منها الأقوال: هي أنَّ التعظيم على ثلاث مراتب: تعظيم اللسان، وتعظيم الجنان، وتعظيم الأركان.

فمن نظر إلى تعظيم اللسان قال منعاه: ما وصفوا الله حق وصفه، وما ذكروا الله حق ذكره، وما حمدوا الله حق حمده، وما سبحوا الله حق تسبيحه.

ومن نظر إلى تعظيم الجنان قال معناه: ما عرفوا الله حق معرفته، وما عظموا الله حق تعظيمه، وما أجلوا الله حق إجلاله، وما احبوا الله حق محبته.

ومن نظر إلى تعظيم الأركان قال معناه: ما عبدوا الله حق عبادته، وما أطاعوا الله حق إطاعته، وما خدموا الله حق خدمته، وهذه المعاني كلها صحيحة لأنَّها معدومة للكفار في حق الله.

ثم اعلم أنَّ هذه الآيات الثلاث كلها دليل، على أنَّ المؤمنين يعرفونه حق معرفته؛ وذاك على سبيل مفهوم الخطاب؛ لأنَّه لما نفى عن اليهود والمشركين أن يعرفوه حق معرفته فهم منه أنَّ المؤمنين عرفوه حق المعرفة ليقع الامتياز بينهما، وهذا كقوله:﴿ كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾(٢٥١)، يفهم منه أنَّ المؤمنين لا يحجبون عنه تعالى؛ ولهذا قال ابن عباس نزلت الآية، في الكفار حين أنكروا قدرة الله، فمن أقرَّ أنَّ الله على كل شيء قدير فقد قدَّر قدره(٢٥٢).

الباب الثالث: في شرح ما حول تأويله إلى نفي المعرفة جهلا من الآيات والأخبار والآثار.

فمنها: قول بعضهم الدليل على أنَّه لا يعرف الله إلا الله قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾(٢٥٣)، وادعوا أنَّ الغيب هو الله(٢٥٤) بدليل قوله :﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾(٢٥٥)، قال بعض المفسرين: أي يؤمنون بالله، وهذا تعسُّفٌ من القول؛ لأنَّ الغيب في اللغة: هو ما غاب عنك، وعن بصرك فقوله :﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾، يعني بالقيامة

(٢٥١) سورة المطففين: ١٥.

(٢٥٢) لم أجده.

(٢٥٣) سورة النمل: ٦٥.

(٢٥٤) فقالت فرقة: والمراد بالغيب هو الله سبحانه وتعالى، منهم: عطاء، وسعيد بن جبير، وضعفه ابن العربي الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد الأندلسي الإشبيلي ،ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي – بيروت ط٣، ١٤٠٤هـ ج.١ص. ٢٤، والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ج.١ص.١٦٣.

(٢٥٥) سورة البقرة: ٣.

والجنة والنار. وقوله:﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾، يعني به أمور الغيب، وعواقب الأشياء كما قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾(٢٥٦)، فقيل مجيء المطر، وقيل نزول العذاب، وقيل الخمسة المعدودة في أخر لقمان(٢٥٧)، وقيل خواتيم الأعمال وانقضاء الآجال.

ومنها: قوله (صلى الله عليه وسلم) « لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » (٢٥٨)، والعجب أنَّ أكثر من ينفي المعرفة الحقيقة يتمسك بهذا الحديث؛ وليس فيه شيء يتعلق بالمعرفة، فانَّ قوله:(لا أُحْصِي) أما أن يكون معناه: لا أعد كما قال تعالى:﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾(٢٥٩)، وأما أن يكون معناه: لا أطيق كما قال تعالى:﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ ﴾(٢٦٠)، وأما أن يكون معناه: لا أروي، ولا أكمل من قولهم أحصيت الرجل إذا رويته من الماء، فحصى أي رَوِىَ، والمعاني الثلاثة متقاربة، وأصل الكل من الحصاة؛ وهي الرزانة، والعقل، وأما الثناء فتكرير الحمد مرتين ثنيت الشيء إذا كررته، فإذا الحمد، والثناء، والشكر متقاربات، وكلها يُسْتَعمَلُ في مقابلة النعم، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) كان يظهر في تلك الحضرة عجزه، وقصوره عن القيام، بالشكر والثناء المستغرق لجزيل نِعم الله لديه، وجميل أياديه عنده فإنَّها خارجة عن الحصر، والإحصاء، قال تعالى:﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لا تُحْصُوهَا ﴾(٢٦١)، فكيف وتيسير الشكر للنعمة نعمة ثانية توجب الشكر؛ هكذا إلى ما لا نهاية، والدليل على أنَّه لا يريد به المعرفة، هو أنَّ الإحصاء في الحديث واقع على الثناء، والثناء يقابل العوارف والنعماء، ولا يكون بمعنى العلم، والمعرفة البتة، قال الحسن بن هاني (٢٦٢) في عجزه عن شكر بعضهم:

---

(٢٥٦) سورة الأنعام: ٥٩.

(٢٥٧) وقال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)، سورة لقمان:٣٤.

(٢٥٨) سبق تخريجه في الصفحة ٤٥.

(٢٥٩) سورة الجن: ٢٨.

(٢٦٠) سورة المزمل: ٢٠.

(٢٦١) سورة إبراهيم: ٣٤، وسورة النحل: ١٨.

(٢٦٢) ابْنُ هَانِي هو: أَبُو الحَسَنِ مُحَمَّدٌ الأَزْدِيُّ المُهَلَّبِيُّ : شَاعِرُ العصْرِ، أَبُو الحَسَنِ مُحَمَّدُ بنُ هَانِي بن محمد بن سعدون الأَزْدِيُّ المُهَلَّبِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ، يُقَالُ: أَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ المهلَّبِ وَكَانَ أَبُوْهُ شَاعِراً أَيْضاً، وَيُكنَى مُحَمَّدٌ أَبا القَاسِمِ أَيْضاً، ولد في سنة ٣٢٦هـ بِإِشْبِيْلِيَّةَ، وَكَانَ ذَا حُظوَةٍ عِنْدَ صَاحبِ إِشْبِيْلِيَّة، وتوفي في سنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّيْنَ وَثَلاَثِ مائَة،٣٦٢ هـ، وعَاشَ ستاً وَثَلاَثِيْنَ سنَةً. ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن

إذا نَحنُ أَثْنينا عليك بِصالحٍ ... فأَنْتَ كما نُثني وَفوق الذي نُثْني

[١١/أ]

وإنْ جرت الألفاظُ يوماً بِمدْحةٍ ... لغيرِكَ إنْساناً فأَنْتَ الذي نعني (٢٦٣)، هذا يقول في تقاصره عن أداء شكر عبد مربوب إعطائه بعض فضلات ماله، فماذا يقال للرب المنعم/ الوهَّاب في عزه وجلاله، ويجوز أن يكون معنى « لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ » أي لا أصفك ولا أسميك إلا بما وصفت به نفسك، وسميته بأسمائك وصفاتك في كتابك المنزل؛ لأنه قال « أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » وثناؤه على نفسه هو القرآن.

ومنها: حديث رواه معاذ بن جبل، ووُهَيْب الْمَكِّيّ(٢٦٤) ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنَّه قال: « لَوْ عَرَفْتُمُ اللهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَعَلِمْتُمُ الْعِلْمَ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ جَهْلٌ، وَلَوْ عَرَفْتُمُ اللهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَزَالَتِ الْجِبَالُ الراسيات بِدُعَائِكُمْ ، ولمشيتم في البحور، وَمَا أُوتِي أَحَدٌ مِنَ الْيَقِينِ شَيْئًا، إِلَّا مَا لَمْ يُؤْتَ مِنْهُ أَكْثَرَ مِمَّا أُوتِي ، فَقَالَ مُعَاذُ وَلَا أَنْتَ قال: (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «وَلَا أَنَا» قَالَ مُعَاذٌ: بَلَغَنَا أَنَّ عِيسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ ، فَقَالَ: (صلى الله عليه وسلم) وَلَوِ ازْدَادَ يَقِينًا لَمَشَى عَلَى الْهَوَاءِ » (٢٦٥). واعلم أنَّ هذا حديث في نهاية الإشكال، وهو أغمض ما جاء في المعرفة؛ لأنَّه قال(لو عرفتم الله) و(لو) يدخل الكلام في امتناع الشيء لامتناع غيره؛ ولأنَّه صرح بتفاوت اليقين في أخر الحديث، ومن إشكاله أعرض جماعة من تأويله، وقالوا: خبر آحاد (٢٦٦) لا يوجب العلم، وأنا أشرحه بقدر ما بلغ فهمي، وأسلك في شرحه طريقين:

قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ج.١٦ص. ١٣١، والزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، ج.٧ص. ١٣٠.

(٢٦٣) ورد في الأصل أعني ، والصحيح ما أثبته، ينظر: الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي (ت: ٨٥٢هـ)، عالم الكتب – بيروت ط١، ١٤١٩هـ، المستطرف في كل فن مستظرف، دار الكتب العلمية – بيروت ط٢، ١٩٨٦م، ج.١ص.٢٤٠.

(٢٦٤) وهيب بن الورد بن أَبي الورد القرشي، أَبُو عُثْمَان، ويُقَال: أَبُو أمية المكي، مولى بني مخزوم أخو عَبْد الْجَبَّارِ بْن الورد وَيُقَالُ: اسْمُهُ: عَبْدُ الوَهَّابِ، وهيب لقب غلب. قَالَ ابْنُ إِدْرِيْسَ: مَا رَأَيتُ أَعَبْدَ مِنْهُ. وَقَالَ ابْنُ المُبَارَكِ: قِيْلَ لِوُهَيْبٍ: يَجِدُ طَعْمَ العِبَادَةِ مَنْ يَعْصِي؟ قَالَ: وَلاَ مَنْ يَهُمُّ بِالمَعْصِيَةِ. قِيْلَ: مَاتَ في سَنَةَ ثَلاَث وَخَمْسِيْنَ وَمائَةٍ. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاءج.٧ص.١٩٨.

(٢٦٥) أخرجه البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت:٤٥٨)، الزهد الكبير ، ت: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان ط٣،١٩٩٦م، ج.٢ص. ٤٩١، والأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت: ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ج.٨ص.١٥٦، بدون قوله (ولمشيتم في البحور، والراسيات).

(٢٦٦) تعريف الآحاد: وَخبر الْوَاحِد فِي اللُّغَة: مَا يرويهِ شخص وَاحِد، وَفِي اصْطِلَاح المحدِّثين:(مَا لم يَجْمَع شروط التَّوَاتُر) وَفِي نُسْخَة: الْمُتَوَاتر أَي كل خبر لم ينْتَه إِلَى التَّوَاتُر سَوَاء رَوَاهُ وَاحِد، أَو اثْنَان، أَو جماعة ويسمى أَيْضا خبرَ الْوَاحِد بِاعْتِبَار أقلّ الْمَرَاتِب، أَو اعْتِبَار اشْتِمَال مَا فِي الْمَرَاتِب على الْوَاحِد، أَو بِاعْتِبَار إفادته الظن كَخَبَر الْوَاحِد، أَو تَسْمِيَة الْكل بِخَبَر الْآحَاد بِاعْتِبَار الْبَعْض، القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن

أحدهما: أنَّ المراد بالمعرفة حكم المعرفة ومقتضايا، لا أصل المعرفة؛ لأنه قال:(حق المعرفة) ، والحق قد يطلق تارة على نفس الشيء، وتارة على مقتضاه، حتى أنَّه لو قال إنسان وحق الله لا أُكلمك فانْ عنى به عظمة الله وجلاله حنث، وإن عنى به ما عليه من طاعة الله لا يحنث، فيكون بتأويل الحديث (لو عبدتم الله حق عبادته) كما روى أنَّ الملائكة يقولون: « سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ »(٢٦٧)، فسمها باسم السبب، كما يسمى الصلاة إيماناً في قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾(٢٦٨)، أي صلاتكم، التي صليتموها إلى بيت المقدس، وأيضاً يجوز أن يسمى العبادة معرفة كما تسمى المعرفة عبادة في قوله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢٦٩)، قال ابن عباس: كل عبادة في القرآن التوحيد(٢٧٠)، ويجوز أن يكون تأويله (لو عرفتم شدة عقاب الله وأليم آخذه، كما قال:(صلى الله عليه وسلم) « أَنا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَخْشَاكُمْ لله » (٢٧١)؛ لأنَّه عاين الجحيم، وأنواع عقوباتها ليلة المعراج، فقال:« لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»(٢٧٢).

نور الدين الملا الهروي، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، ت: قدم له: الشيخ عبد الفتح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم دار الأرقم - لبنان - بيروت ط، د. س، ت، ط ، ج.١ص.٢٠٩.

(٢٦٧) أخرجه أبو القاسم، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ)، الترغيب والترهيب، ت: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث القاهرة، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، باب فصل في الحوض والميزان والصراط ، ج.١ص.٥٣٨، والسيوطي، جلال الدين ، جمع الجوامع – أو جامع الكبير، ج.١ص. ٢٦٤٥٣.

(٢٦٨) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢٦٩) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢٧٠) لم أجده.

(٢٧١) أخرجه أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، ولكن ورد هكذا، « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ »، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، ج.٤١ص.٣٩٦، رقم الحديث ٢٤٩١٢.

(٢٧٢) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، صحيح البخاري، باب قَوْلِهِ (لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)ج.١٥ص.١٩٤، رقم الحديث ٤٦٢١، و ابن خُزَيمة، أبو بكر محمد بن محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت:٣١١هـ)، في صحيحه ، حَققهُ وعَلّق عليه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٣ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، باب خطبة الإمام بعد صلاة الكسوف، ج.٢ ص.٣٢٤، رقم الحديث١٣٩٥، وأبو داود الطيالسي، أبو

وأما قوله : « لَعَلِمْتُمُ الْعِلْمَ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ جَهْلٌ » فهو العلم الذي يسمى علم الوراثة، كما قال: (صلى الله عليه وسلم) « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »(٢٧٣)، ومعناه: ليس بعده جهل، وقد يجيء (مع) بمعنى بعد كما قال تعالى:﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾(٢٧٤)، والعابد إذا بلغ هذه الدرجة، بأنْ يعبد الله حق عبادته، فلا يستبعد زوال الجبال بدعائه، ولا حملة البحر فوق مائه كرامة له، وجاء في رواية أخرى « ولكنَّ اللهَ أجل من أن يُعرف أحد قدره كله »(٢٧٥) فيكون معناه أجل من أن يؤدي أحد حق عبادته كله، وأما زيادة اليقين فلعله يريد به زيادة دلائله ومقدماته، أو زيادة أحكامه، ومقتضياته.

الثانية: من شرح الحديث، وتأويله أن يقال يريد بقوله: « لَوْ عَرَفْتُمُ اللهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ » استغراق العبد كله في معرفة الله؛ وذلك أنَّ أنوار المعرفة، إذا أشرقت على القلب غلبت، وعطلت الحواس، وأذهلته عن الخلق؛ فيبقى العارف لا يسمع، ولا يرى، ولا يتكلم، ولا يألم بالحر، والبرد، والجوع، والعطش، والهم، والسهر، استغراقاً في المعرفة، وتلك الحالة تسميها الصوفية الفناء في التوحيد، وإليها أشار من قال من عرف الله كَلَّ لسانه وفي بعض التفسير﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (٢٧٦)، يعني إذا نسيت نفسك، والخلائق كلهم، ولا يستبعد هذه الحالة للعارف، فأنا نرى الرجل يصرف همته إلى شيء من أُمور الدنيا، لو نودي لا يسمع، ولو ظهر شيء بين عينيه لا يبصر، ولو كان جائعاً أو متوجعاً لا يحس بذلك من نفسه، وكذلك من دهمه محبوب، أو فاجأه سلطان فانَّه يغيب عن نفسه بالكلية استغراقاً بالنظر إليه، وقد جاء في الشعر: فشغلتُ عن رد السَّلام، وكان شغلي عنك بك(٢٧٧)، وناهيك به قصة صواحبات يوسف (عليه السلام) ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ

[١٢/أ]

داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: ٢٠٤هـ)، في مسنده، ت: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر- ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م، ج. ٣ص.٥٤٧، رقم الحديث٢١٨٤.

(٢٧٣) أخرجه السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)،ينظر: الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، ت: د. محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود، الرياض، ج.١ص.١٩٢، والشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ت: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، د.ت، ج.١ص٢٨٦.

(٢٧٤) سورة الشرح: ٦.

(٢٧٥) لم أجده.

(٢٧٦) سورة الكهف:٢٤.

(٢٧٧) هو قول أبو الطيب المتنبي، شرح ديوان المتنبي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، ج.١ص.٣٢.

وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾(٢٧٨)، فإذا كان هذا وأمثاله يقع في الاستغراق بمشاهدة مخلوق، فما ظنك في الاستغراق بشهود الخالق، وأن يكون ذلك مغيِّباً للعبد عن نفسه، وتلك الغيبة والحيرة؛ إنما تكون عن الخلق، لاعن الحق/، وذلك أن حق معرفة الله، أن لا يشتغل العبد معها بمعرفة شيء أخر من الخلق، قال أبو يزيد: (لا يزال العبد عارفا بالله ما دام جاهلاً، فإذا زال جهله زالت معرفته)(٢٧٩)، يريد به جاهلاً عن غيره، وبالعكس فإذا بلغ العارف تلك الدرجة غاب عن سوى الله شغلاً بمعرفته فقد عرف الله حق معرفته، وقوله:« لَزَالَتِ الْجِبَالُ الراسيات بِدُعَائِكُمْ، ولمشيتم في البحور » فهو أنَّ من كانت حالته هذه ارتفعت الأسباب من عين قلبه، فلا يرى الجبال راسيات بأنفسها ولا البحور مغرقات بذواتها؛ ولكن يرى الكل من عند الله، فيكون مستجاب الدعاء لا محالة، إذ لا يدعوا بلسانه إلا وقلبه شافعاً له في الحضرة، وقوله (لعلمتم العلم الذي ليس معه جهل)، يعني أنَّ الذي يرى المطر مثلاً من السحاب، والنبات من المطر، والشبع من الخبز، فقد شاب علمه نوع جهالة، وهو الشرك الخفي، ومن رأى الكل من عنده يقيناً بحيث لا يلتفت قلبه عند الجوع إلى الخبز، ولا عند القحط إلى السحاب، والمطر أصلاً كان متوكلاً على الله في جميع حالاته، فكان علمه بالله (علم ليس معه جهل)، وأما معنى الزيادة في الرواية « ولكن الله أجل من أن يُعرف أحد قدره كله » فالرواية الصحيحة أمره كله إذ لا كل لقدره؛ لانَّ الكل يقابل البعض، ومالا بعض له لا كل له، ولعل القدر يريد عظمته؛ وهي غير مُحاطٍ بها، وأما زيادة اليقين، فاعلم أنَّ اليقين صفوة القلب مشتق من (اليقن) وهو الماء الصافي ينظر فيه فيرى الأشياء، وغاية صفاء القلب إنما يكون تخلية من دواعي البشرية، وتلك شيء لا يزول عن البشر بالكلية؛ ولذلك أمر الله نبيه بقوله:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾(٢٨٠)؛ ولذلك قال في جواب معاذ ولا أنا، وقال في حق عيسى (عليه السلام) « لَوِ ازْدَادَ يَقِينًا لَمَشَى عَلَى الْهَوَاءِ » ازداد يقيناً لمشي على الهواء، بل كان (صلى الله عليه وسلم) أبداً يترقى من درجة إلى أعلاها كما قال: (صلى الله عليه وسلم) « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ في اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ »(٢٨١)، فكان (صلى الله

(٢٧٨) سورة يوسف: ٣١.

(٢٧٩) ينظر: الكشكول، للهمذاني، محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي، بهاء الدين (ت: ١٠٣١هـ)، ت: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م، ج.١ص.٦٥.

(٢٨٠) سورة الكهف: ١١٠.

(٢٨١) أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت:٣٦٠هـ)، الدعاء، ت: مصطفى عبد القادر عطا، باب عدد استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ١٤١٣هـ، ج.١ص.٥١٥، رقم الحديث ١٨٣٣، المرزوي ، عبد الله بن المبارك بن واضح أبو عبد الله (١١٨- ١٨١)، الزهد ـ مشكول، باب فضل ذكر الله عز وجل، ت: حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، د.س، ت، ط ، ج.١ص.٤٠١.

عليه وسلم) كلما التفت إلى الدرجة التي جاوزها استغفر الله؛ وذلك لا يعود إلى تفاوت أصل اليقين أصلاً بل يعود إلى ارتفاع الموانع، وانقطاع الدوافع، وانتقاص الشواغل شيئاً فشيئاً فانَّ لقلب ابن آدم بكل واد شبعة، هذا ما أوردت شرحه ومن تأَمل بعين الصفة علم أنه عمدة التوحيد.

ومنها: تمسك بعضهم في ذلك بما يرويه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في دعائه:(يا دليل المتحيرين زدني تحيراً)، ويقال أنَّ الزيادة في قوله:(زدني تحيراً) من كلام أبي يزيد البسطامي(٢٨٢)، وقد طعن جماعة من المتكلمين في قوله :(يا دليل المتحرين) وزعموا أنَّه تعالى لا يسمى دليلاً؛ لأنَّ الدليل هو الصنع، والصانع هو مدلول الدليل، وهذا جهل منهم بالعربية؛ لأنَّ الدليل في اللغة: هو المرشد الدال (فعيل بمعنى فاعل) كالكليل، والحديد بمعنى الكال، والحاد، وإنما يسمى البرهان دليلاً على المجاز وإلَّا فالدليل على الحقيقة هو الله؛ لأنَّه هو المرشد للخلق بما نصب لهم من البراهين، ولقد أثبت إلى نفسه الدلالة في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ ﴾(٢٨٣).

وأما قوله:(زدني تحيراً) فقد قيل لما علم أنَّه دليل المتحيرين، قال: زدني تحيرا رغبة في إرشاده، لا رغبة في التحير، وهو قريب من معنى قول الشاعر: تبسطنا على الآثام لما ... رَأينَا الْعَفو من أثَر الذُّنُوب (٢٨٤)، هذا و الصحيح أنَّ التحير " المسؤول "(٢٨٥) ليس هو التحير في المعرفة؛ فإنَّما هو تحير في أمره وشأنه استغراقاً له بمعرفة ربه، أو تحيراً في إحاطة العقل بجلال الله، وعظمته، كما بيناه في العجز عن إدراكه ، ومثل هذا ما قال بعض أهل الاشتقاق في اسم الله، أنَّ أصل الإله(الوِلاه) فقلبت الواو همزة، كما قلبوها في(الوكاف والإكاف) و(الوسادة والإسادة)، قالوا هو بمعنى المالوا، فِعال بمعنى المفعول كالكتاب بمعنى المكتوب، ومعناه يوله إليه الخلائق في المعرفة جلاله، وعظم شأنه، أي يتحير، والوَله والحيرة واحد، وهذا أيضاً يريد به حيرة العقول في دركه، والإحاطة به، كما شرحناه في أمثال ذلك من قبل.

---

(٢٨٢) البسطامي الزاهد المشهور، المتوفى في سنة إحدى وستين، وقيل أربع وستين ومائتين،. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، ج.٢ص.٦٧.

(٢٨٣) سورة الصف: ١٠.

(٢٨٤) وهو قول أبي الحسن السلامي، ينظر: ابن الخطيب، محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، قاسم (ت : ٩٤٠هـ)، ينظر: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، دار القلم العربي، حلب، ط١، ١٤٢٣ هـ ج.١ص.٧٠.

(٢٨٥) ورد في الأصل المسؤل، والصحيح ما أثبته ، والله أعلم.

[١٣/أ]

ومنها: ما روى عن الجنيد قال: لا يعرف الله إلَّا الله؛ ولذلك لم يُعطِ أجل خلقه إلا اسماً حجبه به(٢٨٦)، فقال:﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾(٢٨٧)، فو الله ما عرف الله غير الله/ في الدنيا والآخرة.

اعلم أنَّ الله كان عرف نفسه قبل خلق الخلق، ولم يعرفه غيره، ثم خلق الخلق، وهداهم بلطفه إلى معرفته، ثم يفنيهم فلا يبقى أحد يعرفه، ويثنى عليه إلا هو، كما أشار إليه في قوله:﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾(٢٨٨)، الآية، فهو بنفسه يعرف نفسه ويثنى على نفسه بالوحدانية والقهر، فقول الجنيد: لا يعرف الله إلا الله يشير إلى دوام المعرفة له بنفسه أزلاً وأبداً، ولا يعتد بمعرفة الخلق في الوسط بالنسبة إلى معرفته؛ لأنَّها منه وبهدايته حصلت، ولولا هدايته إلى معرفته لما عرفه أحد من خلقه، كما أنشد عبدالله بن رواحة، في بعض الغزوات: « وَاللَّهِ لَوْلاَ اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا»، فسمع النبي(صلى الله عليه وسلم) ولم ينكر عليه، وفي رواية، أنَّه (صلى الله عليه وسلم) قال معه(٢٨٩)، وأما قوله إلا اسما حجبه به فقال: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾، لا يريد أنَّ اسم الله غير الله، وأنَّه (صلى الله عليه وسلم) كان محجوباً باسمه عنه، وأنَّه سبح اسمه دونه تعالى، وإنَّما المراد إنَّه كان لا يشاهد في الدنيا، وإنما يعرفه بقلبه، ويذكر بلسانه نقلاً بهما إلى وقت اللقاء في دار البقاء، ثم إنَّ الاسم والمسمى واحد " فلئن "(٢٩٠) قال في سورة :﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾، قال في سورة أخرى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾(٢٩١)، فدل على أنَّ المسبح هو الله لا غيره.

---

(٢٨٦) الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ت: بسام عبد الوهاب، الناشر الجابي، الجفان – قبرص، ط١، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، ج.١ص.٤٩.

(٢٨٧) سورة الأعلى:١.

(٢٨٨) سورة غافر: ١٦.

(٢٨٩) أخرجه مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، باب غزوة خيبر، ج.٢ص.١٤٢٩، رقم الحديث، ١٨٠٢، والبخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، صحيح البخاري، باب غزوة الخندق، ج.١٣ص.٤٨٧، رقم الحديث٤١٠٤، وابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ت : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة، ت: بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان- ط١، ج.٨ص.٢٦٨، رقم الحديث٦٠٩١.

(٢٩٠) ورد في الأصل فليئن، والصحيح ما أثبته، والله أعلم.

(٢٩١) سورة ق:٤٠، وسورة الطور: ٤٩.

ومنها: ما روى عن ذي النون المصري(٢٩٢) أنَّه قيل له، وقد أشرف على الموت ما تشتهي، فقال: اشتهي أن أعرف الله قبل أن أموت، ولو بلحظة(٢٩٣)، ولقوله تأويل لا يعرفه القوم، وهو أنَّه قال اشتهى في تلك الحال أن يعرفه معرفة غير مستفادة من النظر، والاستدلال التي اعتبارها في هذا العالم، واستمر عليها، بل معرفة ضرورية لا يكون في معرض الخواطر، والشكوك، وإنما اشتهاها عند النزع؛ لأنَّ ذلك موضع الخطر، وقد قيل أكثر ما يسلب الإيمان عند المُعَانية، فتمنى أن يكون له معرفة ضرورية عيانية، لا يقدر الشيطان على إزعاجها بالشبه، والشكوك، اللهم احفظ علينا إيماننا تلك الساعة يُمثل يا كريم.

ومنها: قولهم إن مشايخ السلف كانوا يقولون: نحن إذا تكلمنا في أبواب التوحيد فغايتنا إثبات ما يجب من الصفات، ويستحيل من النقائص، والآفات، فأمَّا العلم بحقائق الصفات فعند الله؛ كما قال تعالى:﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢٩٤)، وحكي عن الملائكة بقولهم : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾(٢٩٥)، قالوا وبيان ذلك أنَّه ليس وجود صفته كوجود صفة الخلق، فإنَّ وجود كل شيء حقيقته، وليس بوصف زائد على الذات، فلو كان وجودك كوجوده لكنت قائماً بنفسك مستغنياً عن غيرك، وكنت أزلياً أبدياً، ولو كان علمك كعلمه لعلمت ما لا نهاية له جملة وتفصيلاً، ولو كان قدرتك في حقيقة قدرته لقدرت على اختراع الأجسام، ولو كان سمعك وبصرك في حقيقة سمعه وبصره لم يكن لهما حجاب بحال، فمن ادعى أنَّه بلغ في العلم النهاية، فإنَّه ما عرف الله على الحقيقة، وإنَّما اعتقد الجهل علماً، فكأنَّه تصور في وهمه ذا نهاية، ومقدار واعتقده معبوداً، هذا كلامهم، وأصله في نفسه صحيح؛ إلَّا أنَّ فيه مغلطة، أو تلبيساً، لواضعه؛ وذلك أنَّه جعل تعلق الصفات بمتعلقاتها حقيقة لها في أنفسها، ألا ترى إلى قوله كيف استشهد في ذلك بقوله تعالى:﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢٩٦)، ثم فسر بعده فقال: لو كان لك علم كعلمه لعلمت ما لا نهاية له جملة وتفصيلاً، وهو أيضاً سهو؛ لأنَّ ما لا نهاية له من معلوماته لا جمل لها ، ولا تفاصيل، وإنَّما الجمل والتفاصيل لما أوجدها أو تعلق الإرادة بإيجادها وإنْ لم يوجدها بعد، [١٤/أ] ثم أنَّ فيها تناقضاً أيضاً، وهو أنَّه قال في أوَّل الكلام، غايتنا إثبات ما يجب من الصفات، ولا شك

---

(٢٩٢) تُوفِّي ذُو النُّون المصير فِي ذِي الْقعدَة سنة خمس وَأَرْبَعين وَقيل سنة سِتّ وَقيل سنة ثَمَان وَأَرْبَعين وَمِائَتَيْنِ (٢٤٥- أو٢٤٦هـ). الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات،ج.١١ص.١٨.

(٢٩٣) الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ت: بسام عبد الوهاب الجابي،ج.١ص.٤٩.

(٢٩٤) سورة البقرة: ٣٠.

(٢٩٥) سورة البقرة: ٣٢.

(٢٩٦) سورة البقرة: ٣٠.

أنَّه يريد به إثبات وجودها، ثم ادعى أنَّ وجود كل شيء حقيقته، وصرح بأنَّه لا يعرف حقائق صفاته فهو إذاً ليس يعرف أيضاً وجودها إذ ليس يعرف حقائقها والوجود هي الحقيقة لها، فتناقض كلامه من هذا الوجه، وكشف الغطاء عن هذه هو: أنَّ معنى قول المشايخ غايتنا أن نثبت ما يجب من الصفات، ولكن العلم بحقائق تعلقها بالمتعلقات عند الله؛ وذلك بيِّنٌ لأنا نعجز عن إحصاء معلومات الله/ ومقدوراته، وبيان كيفية تعلق علم واحد بمعلومات لا نهاية لها ولكنَّا نعلم بالدليل أنَّ له علماً يتعلق بمعلومات لا يتناهى.

الباب الرابع: فيما تمسكوا به من حججهم العقلية في نفي حقيقة المعرفة.

فمنها: قولهم وهو من معظم شبههم أنَّ عقولنا، وأوهامنا، أعراض متناهية، والقديم تعالى لانهاية لذاته، ولا غاية لصفاته، والحادث كيف يبلغ إلى معرفة القديم، والمتناهي كيف ينتهي إلى ما لانهاية له، وقد قال تعالى:﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾(٢٩٧)، أخبر بأنَّ منتهى الأشياء إليه، والعلوم من جملتها، وينشدون قول الشاعر: أيُحيطُ ما يَفْنى بمَا لا يَنْفَدُ؟ (٢٩٨)، ثم يقولون في تحيّج كلامهم إنا لا نحيط علماً بحقيقة جناح بعوضة فلا ندري أهو من اللحم، أم من العظم، أم من الجلد، وهل فيه حسٌّ، وكيف قبضها، وبسطها، ولونها، ووزنها؛ وهي أقل خلق الله، فإذا عجزنا عن معرفة حقيقة أقل الخلق كان عَجْزُنا عن معرفة حقيقة الخالق ومعرفة حقيقة جلاله وكمال عظمته أحق؛ وذلك العجز هو عين المعرفة به تعالى، الجواب عنه هو أنَّ العلم لا يُستتبع المعلوم بل يتبع العلوم، ويتعلق على ما هو عليه؛ بأن كان تلك المعلوم ذا نهاية عرفه بتناهيه، وإن كان مقدساً عن النهاية كذات الله القديم يعرفه يبقى تناهيه ألا ترى أنَّه تعالى يعرف ذوي النهايات، ولا نهاية لعلمه؛ فلذلك يجوز أن يعرفه العبد بلا نهاية، والعارف وعلمه متناهيان، ثم المغلطة فيه هي إنا إذا قلنا يعرفه بلا نهاية بظن منه، إنا ندعي أن علمنا الحادث أحاط بنهاية، ما لا نهاية له، وهذا بيَّن الاستحالة؛ ولذلك يشنَّعُون علينا، ولسنا ندعي الإحاطة به البتة، وإنما ندعي إنا نعرفه بعدم التناهي، وهذا كما نعلم قطعاً أنَّ تضعيف الواحد اثنان، ثم تضعيف الاثنين أربعة، ثم تضعيف الأربعة ثمانية، هكذا إلى ما لا نهاية، فليستيقن أن تضاعيف الأعداد لا نهاية لها في العقل، وهذه معرفة لنا بذلك حقيقة، ولكنا لا نحيط بتناهيها؛ لاستحالة بنايتها، ثم عجزنا عن تلك الإحاطة لا يخرجنا عن كوننا عالمين بها حقيقة، وهذا غاية البيان في حل هذا الإشكال فافهمه، وأمَّا فصل جناح البعوضة، وعجزنا عن حقيقة معرفتنا به، فاعلم أنَّ من طلب معرفة الله من طريقة معرفة

---

(٢٩٧) سورة النجم:٤٢.

(٢٩٨) هو قول أبو الطيب المتنبي: ينظر: الجارم، علي الجارم و مصطفى أمين، البلاغة الواضحة ـ ت: الشحود، جمعه ورتبه وعلق عليه ونسقه : علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة، ج.١ص.١٦٧.

جناح البعوضة فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً؛ وذلك؛ لأنَّها في نفسها تقبِّل إحاطة العلم بها إلا أنَّ الله لم يقدرنا على معرفة جميع صفاتها كتقسيم تفاصيلها، وجملها، والاطلاع على بواطنها، ودقائق حقائقها، فالمستبد يعلم ذلك هو خالقها اللطيف الخبير، وإنَّما يقدر على معرفة ما أقدرنا الله عليه كمعرفة شكلها، وصورتها، وخفتها، وسرعة حركتها، وطريق معرفة ما علمنا منه، وما لم نعلمه هو من طلب الكيفية، والكمية، والمائية، والإحاطة بذلك، وطريق معرفة الله خارج عن هذه الطرق كما بيناه من قبل، وأما الآية، فيجوز أن يكون معناها أنَّ منتهى المعارف إليه، ولا يتجاوزه إذ لا شيء فوقه في الرتبة فيُسند الإلهية إليه.

ومنها: قولهم أنَّ العلم بوجود شيء مطلقاً غيرٌ، والعلم بحقيقة غيرٌ، فإنَّا ربما نعلم مثلاً وجود شخص من أولاد العباس؛ وهو اليوم خليفة ببغداد، ونعلم أنَّه حي، عالم، قادر، إلى معظم الصفات، ولكنا لا نعرف حقيقته حتى لو مرَّ بنا لا نعرفه، وأيضاً إنا نعلم وجود سمعنا وبصرنا وشمَّنا وذوقنا ولا ندرك حقيقتها ويدرك وجود الآلام واللذات والخجل والوجل والغم والسرور والحب والبغض والشكر والصحو والنوم واليقظة والحسد والشهوة إلى غير ذلك من الصفات الباطن ولا ندرك حقيقتها البتة.

[١٥/أ]

الجواب: عنه أما فصل الخليفة، فاعلم أنَّ معرفة الخليفة، وغيره من المخلوقين تخالف معرفة الله، من وجوه كثيرة؛ لأنَّ الخليفة شخص له أجناس، ولجنسه أنواع، ولنوعه أشخاص، فيسأل حينئذ عن ماهيته فيقال أدمي، ويسأل من أي قبيلة فيقال من قريش من أولاد العباس، ويسأل عن كيفيته فيقال طويل، أو قصير، سمين، أو هزيل، أشقر، و أسمر أو أبيض إلى غير ذلك من الحُلى، والصفات التي يتميز بها/ عن أشباهه فإنه تارة يشبه بأجناسه، وتارة بأنواعه وتارة بإخوته وبني عمه الذين لا يمتاز عنهم إلا بدقائق الحُلى وخصائص الصفات فمعرفته من هذه الوجوه وغيرها، تفارق معرفة الله؛ لأنَّ الله بذاته وصفاته مباين من جميع مخلوقاته، فإذا نفيت عنه خصائص المخلوقات، وأثبت له صفات الإلهية فقد عرفه حق معرفته، ثم إنَّ الخليفة لو وصف شخصه لإنسان بجميع صفاته وجلاه الجلية منها، والدقيقة بحيث لا يهمل منها شيء، لأمكن؛ لذلك الإنسان أن يحضر صورته في حياته فإذا رآه لا شك يعرفه، كما نقرأ في الأخبار أنَّ جماعة من اليهود، والنصارى وجدوا صفات النبي(صلى الله عليه وسلم) في التوراة، والإنجيل فلما راؤه النبي (صلى الله عليه وسلم) عرفوه فبعضهم أمنوا به، وبعضهم كفروا حسداً بأنفسهم كما قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾،(٢٩٩) وكذلك لما نُعت النبي(صلى الله عليه وسلم) سمع طائفة في نواحي العرب بمجيئه (صلى الله عليه وسلم) واستوصفوه من الذين

(٢٩٩) سورة البقرة: ٨٩.

أبصره فوصفوه لهم فلما " جاءوا " (٣٠٠) إليه، وجدوه بين الأصحاب عرفوه في الحال؛ كما ورد في الأخبار أنَّ فلانا لما وقع بصره على النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: أشهد أنك رسول الله، وأنَّ فلانا قال: ليس هذا بوجه كذاب، إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في هذا الباب، وأما قولهم إنا لا ندرك حقيقة السمع، والبصر، والراحة، والألم، والخجل، والوجل، وغير ذلك من معاني الباطن، فاعلم أنَّ هذا القائل إنَّما وقع إشكاله من حيث أنَّه أعتقد أنَّ ما لا يصوره الخيال، ولا يقدِّره الفكر لا يعلم حقيقته، فلما تفكر في معرفة الألم، واللذة مثلاً عجز عن أن يدرك صورتهما في خياله، أو يعرف مقدار " كميتهما "(٣٠١) في فكره، ظن أنَّه لا يعرف حقيقتهما؛ وهذه مغلطة عظيمة، وأكثر من اعتقد أنَّ الله، لا يعرف حقيقة إنما وقعت شبهتهم من هذا الوجه، وبيان ذلك والكشف عنه، هو أن التصوير والتقدير إنما يكون للأجسام فحَسْب، وهذه الإدراكات الباطنة من الخجل، والوجل، واللذة، والألم، والسرور، والغم، وغيرها، لا صورة لها فيصوِّرها الخيال؛ لأنَّها معان، وأعراض، وإنما يدرك وجودها والتمييز بين أغيارها، وأضدادها بالضرورة، وتدرك حقائقها بالعقل إذ قد استخرج لكل معنى منها حد وحقيقة في كتب الحدود، ثم لو خلق لنا إدراكها؛ لأدركناها بالبصر لكونها موجودة، وذلك الإدراك أيضاً لا يقتضي صورها، بل إدراك لها على ما هي عليها من غير تصوير، وتشكيك.

[١٦/أ]

ومنها: قولهم إنَّ الله إنَّما طلب منَّا الإيمان المطلق، ولم يكلفنا الاطلاع على حقيقة المعرفة، فقال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾(٣٠٢)، الآية، وقال:﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾(٣٠٣)،الآية، فلمَّا صح إيماننا بوجود الملائكة على الإطلاق دون الاطلاع على طبقاتهم، وأعدادهم، وهيأتهم، وصح إيماننا بالرسل مطلقاً دون معرفة أعدادهم، وهيأتهم وحقائقهم في أنفسهم وكيفية معجزاتهم، كذلك يصح إيماننا بالله إذا قطعنا بوجوده، ووجود صفاته المنزهة عن صفات الخلق، دون الاطلاع على حقائقها، والإحاطة بها، الجواب عنهم قريب من الأجوبة المتقدمة، والنكتة فيه هي: أنَّ معرفة الله بخلاف معرفة الملائكة، والرسل، والكتب المنزلة؛ لأنَّ

---

(٣٠٠) ورد في الأصل جاؤا، والصحيح ما أثبته، والله أعلم.

(٣٠١) ورد في الأصل كميتها، والصحيح ما أثبته، والله أعلم.

(٣٠٢) سورة النساء:١٣٦.

(٣٠٣) سورة البقرة:٢٨٥.

تلك المعارف خبرية، فإنا لم نشاهد تكليم الله جبريل وموسى (عليه السلام) وإنَّما بلغنا ذلك بالخبر، وعلمنا أنَّ القرآن الذي نقرأه في المصاحف، هو كلام الله المنزل على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) بطريق التواتر، وكذلك لم نشاهد الملائكة، والرسل عيانا، ولا وجدنا إلى معرفتهم من الدلائل العقلية سبيلاً فوجب لذلك علينا الإيمان بهم عن ظهر الغيب كما جاء، فأما معرفة الله فبخلاف ذلك إذ لا تصح من طريق الخبر؛ لأنَّ تلك الأشياء إنَّما تثبت بإخباره تعالى، فإذا كان أيضاً وجوده ثابتاً بالخبر انحلَّ رباط المعارف كلها، وبطل التوحيد، وتختم التقليد، وعبد كل أحد ما يريد، فإذاً قد صح معرفة الله خارجة من طريق معرفة الملائكة، والرسل، والكتب/ إذ طريقها عقلي نظري، وطريق تلك الأشياء نقلي خبري، فإذا لم يعرفه العبد بحقائق صفاته الواجبة عقلاً كان متبلداً في المعرفة حيرة، وجهلاً.

ومنها: دعوى بعضهم أنَّه لا يجوز لأحد أن يقول أنَّ الله يُعرف بالكمال؛ لأنَّ الكمال في مقابلته النقصان، فمن استحال نقصه استحال كماله، ولم يكن الله ناقصاً فكمل.

الجواب: يقال لهم إنما يستحيل على الله ما يناقض صفات الإلهية كالنقص، والجهل، والعجز، والصغر، وأمَّا الكمال فهو ما يوجبه الإلهية، ولا تضاده كالجلال، والعظمة، والجمال، والكبرياء والعزة، والجبروت، وغير ذلك فيجب أن يوصف به الله كما يوصف بهذه الصفات وإن كانت لها أضداد تنافي الإلهية، فهذا معظم ما تمسكوا به نفاة المعرفة على الحقيقة من دعاويهم وشبههم.

ونختم الباب بسؤال لهم عظيم وهو أصعب ما يوردونه، وذلك قولهم أنَّ لكل حقيقة كما جاء في الحديث، وأنتم تزعمون انا عرفنا الإله حق معرفته، فأخبرونا ما حقيقة الإله إن عرفتموه بالحقيقة كما زعمتم؟ الجواب: عنه ما ذكره الشيخ الإمام أبو القاسم الأنصاري في كتابه المعروف "بالغرر والدرر" فقال: إن عنيتم بالحقيقة الثبوت والوجود فهو موجود أزلي، مقدس عن الأقدار والكيفيات الآيلة إلى التخصيص بالأقدار، والنهايات، متعالٍ عما لأجله افتقر إليه الحوادث، له صفات العلى، والأسماء الحسنى ،التي هي مدلولات الأفعال، ونعوت الجلال، وله المثل الأعلى في السموات، والأرض، وإن عنيتم بالحقيقة البحث عن النوع والجنس، فلا هو نوع لجنس، ولا جنس لنوع، ولا يناسب الخليقة ولا يناسب الخليقة، ولا يتاخم موجوداً ولا يتاخم موجود، وإن عنيتم بالحقيقة ما يتعين به المحقق فيتعين ذاته، وصفاته لعقول الطالبين، ثم لا معنى للحقيقة سوى الوجود، وليس يصح قول من قال أعرف الوجود دون الحقيقة، فالحقيقة إنَّما هي المحقق، والوجود المعين هو الحقيقة والمحقق، فإنَّ الوجود المطلق يشتمل الموجودات في ظن مثبتي الحال، والحقيقة يختص بالمحقق فإن قالوا إنا نبحث عن الخاصية التي يتميز ذاته عن غيرها، قلنا قال بعض العقلاء الذوات يتميز عن الإله، والإله يتعالى عن الاتصاف بالتميز عن غيره لاستحالة التناهي عليه، وإنما يتميز الذات عن الذات بالأقدار، والأبعاد، والنهايات، وانحياز البعض عن

البعض، وهذا لا بأس به، ولو قال قائل ذاته يتميز للعقول دون الأوهام لم يكن مبعداً، وقد أثبت أبو إسحاق الإسفراني(٣٠٤) لله كونا يوجب له التقدس عن الاحياز، وأشار بعض الناس إلى إثبات بينونة قديمة وقال القاضي(٣٠٥): لله أخص وصف هو من الصفات النفسية النازلة منزلة الأحوال للمحدثين يدرك الوجود عليها، وهل يعلم عند إدراك الوجود لتردد فيه، وقال ضرار(٣٠٦) من المعتزلة: لله مائية تدرك بحاسة سادسة، هذه مقامات الطالبين، ومواقف السالكين طريق الحق، وقد قال: (صلى الله عليه وسلم) « تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ » (٣٠٧)، وقال: (صلى الله عليه وسلم) « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ »، وجاء في وصف على أنَّه الممسوس في ذات الله، وكان الخليل (عليه السلام) في مقام الطلب فكان ينظر في الأجرام العلوية، وترجح بعضها على بعض، من الأفول والزوال، ويقول في أثناء الطلب ﴿ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾(٣٠٨)، وهذا إنَّما قال بعد ما حسم عروق الطمع، وعلم أن الصمدية يمنع عن جولان الفكر، ويتقدس عن تصرف الوهم، وتيقن أنَّه إن كان للعقل وصول

---

(٣٠٤) أَبُو إِسْحَاقَ هو: الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ الأَوْحَدُ، الأُسْتَاذُ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ بنِ مِهْرَانَ الإِسْفَرَايِيْنِيُّ، الأُصُوْلِيُّ، الشَّافِعِيُّ، المُلَقَّبُ رُكْن الدِّيْن، أَحَدُ المُجْتَهِدِيْن فِي عَصْرِهِ وَصَاحِبُ المُصَنَّفَات البَاهِرَة، وَمِنْ تَصَانِيْفِهِ كِتَابُ (جَامع الخلِي فِي أُصُوْل الدِّيْنِ وَالرَّدّ عَلَى المُلْحِدِيْن) فِي خَمْس مُجَلَّدَات، وتُوُفِّيَ بِنَيْسَابُوْرَ يَوْمَ عَاشُورَاء مِنْ سَنَة ثَمَانِي عَشْرَة وَأَرْبَع مائَة ٤١٨ هـ. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج.١٣ص. ١٠١.

(٣٠٥) أبو بكر الباقلاني هو : القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، وتوفي آخر يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج.٤ص.٢٦٩.

(٣٠٦) ضرار بن عمرو: وهو من رُؤُوْسِ المُعْتَزِلَةِ ضِرَارُ بنُ عَمْرٍو القاضي [أَبُو عَمْرو] شَيْخُ الضِّرَارِيَةِ. (ت: ٢٢١- ٢٣٠ هـ)، وإليه تنسب الطائفة الضِّراريّة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج.٨ص. ٥٣١، والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ت: د. بشار عوّاد معروف دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م ج.٥ص. ٧٣٨، وابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، ت: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م، ج.٤ص. ٣٤١.

(٣٠٧) الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع ، ت: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة ، مكتبة الاستقامة، سنة النشر: ١٤١٥هـ ،باب السنة في التعظيم لله عز وجل، ج.١ص. ٣٠٩، وأبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت:٤١٨هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة السعودية،ط٨ ، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، ج.٣ص.٥٨٢.

(٣٠٨) سورة الأنعام:٧٧.

فليس إلا بتوفيق الله، وتأييده الذي هو واهب العقل، فقال: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا﴾ (٣٠٩)، وعُلم أن قُصارى نظر الناظرين وطلب الطالبين الوقوف على احتاج المخلوقات وافتقارها إلى الله وهو ظاهر بآياته مسجًّلٍ للعقول ببراهينه وبيناته باطن بحقيقة صفاته وذاته.

القسم الثالث: في بيان نقل فتاوى الأئمة في المعرفة وما يضاف إليها من الشرح في الأبواب الأربعة:

الباب الأول: في نقل فتاوى الذين راغموا أهل التشبيه في فتواهم.

منها: فتوى إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، فقد سمعت بعض مشايخ المتكلمين بالريَّ أنَّ جماعة من الحنابلة، وأصحاب الحديث/ [١٧/أ] خالطوا الوزير نظام الملك أبا علي الحسن بن إسحاق(٣١٠) وكانوا يدعونه إلى الأخذ بظواهر الأحاديث، ومنع تأويل المتشابهات منها، فتوقف الوزير في ذلك، وبعث إلى الإمام يسأله أن يكتب له المعتقد الحق في ذات الله، وصفاته، فكتب إليه في الرسالة " النظامية " هذا الفصل في المعرفة وهو قوله: من انتهض(٣١١) لطلب مدبره فإن اطمأن إلى موجود انتهى فكره إليه فهو مشبه، وإن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل، وإن قطع بموجود واعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد، وهو معنى قول الصديق(رضي الله عنه) العجز عن درك الإدراك إدراك، وذلك كالروح إذ لإخفاء بوجوده وليس إلى درك حقيقته سبيل، ولا سبيل إلى جحد وجوده للعجز عن درك حقيقته، وكذلك يعلم بالتسامع، والاستفاضة وجود الألوان، ولا يدرك حقيقتها، فإنْ قيل فغايتكم إذاً حيرة ودهشة، قلنا العقول حايرة في درك الحقيقة قاطعة بالوجود المنزه عن صفات الافتقار، هذا لفظه.

ومنها: نسخة فتوى حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، في هذه المسألة حين عُرِض عليه ببغداد، وهي ما قول حجة الإسلام في حق من قال: لا يحيط علم الواحد منا

(٣٠٩) سورة الأنعام:٧٨- ٧٩.

(٣١٠) نِظَامُ الْمُلْكِ الْوَزِيرُ هو: الحسن بن علي بن إسحاق، أبو علي، وزر للملك ألب أرسلان وولده ملك شاه تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، كَانَ مِنْ خِيَارِ الْوُزَرَاءِ، ولد بطوس سنة ثمان وأربعمائة، وكان أبوه من أَصْحَابَ مَحْمُودِ بْنِ سُبُكْتِكِينَ، وَكَانَ مِنَ الدَّهَاقِينِ، فأشغل ولده هذا، فقرأ القرآن وله إحدى عشرة سنة، وأشغله بالعلم والقراءات وَالتَّفَقُّهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَسَمَاعِ الْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، وتوفي في سنة (أربع وثمانين وأربعمائة هـ)،. ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م، ج. ١٢ص. ١٤٠.

(٣١١) ورد في الأصل من انتهض، والصحيح من نهض. العقيدة النظامية، لأبي معالي الجويني، ص ٢٢- ٢٣.

بالجسمانيات، والروحانيات كما هي، فكيف يسوغ لأحد دعوى معرفة الله كما هو بصفاته، ومدعي ذلك جاعل لله حداً ونهاية؛ لأنَّ علمه يحيط بذاته، وكل محيط بشيء فهو أوَّل ذلك المحاط به، وآخره، ومن ظاهر ظاهر له، ومن وجه باطنه باطن له، والله هو الأول، والأخر، والظاهر، والباطن، فكتب الغزالي، الجواب وبالله التوفيق: اعلم أولًا أنَّه لا يعرف الله حق معرفته إلَّا الله، ولا يحيط بكنه جلاله سواه، ولا يستبعد هذا بل لا يعرف الملك إلا الملك، بل النبي لا يعرف حق معرفته إلا النبي، بل لا يعرف العالم حق معرفته إلا العالم، بل التلميذ إذا لم ينل رتبة الأستاذ في العلوم لم يعرف أستاذه، وإذا نال رتبته عرفه معرفة تفارق معرفة الأستاذ بنفسه؛ فإنَّه يعلم أولا ما يعلمه الأستاذ بالمقايسة إلى نفسه فيعلم أنَّه محيط بالمعلومات التي هو محيط بها، بل حالة الواطئ لا يتصور أن يعرفها العنين حق معرفتها؛ لأنَّ معرفة تلك الحالة بالذوق، ولا يتصور ما هيته قبل الاتصاف بها، وغايته تصديق أمر مَّا مجهول الماهية، وكيف يطمع في أن يعرف الله حق معرفته، وهو لا يعرف نفسه حق معرفته، وإنما يعرف نفسه بأفعالها، وأوصافها ولا يدرك ماهيتها، بل لو أراد أدمي أن يدرك نملة أو بُقة إدراكا محيطا حقائق أوصافها عجز عنه، وغايته أن يعرف بالبصر شكلها ولونها، وأما الفصول المتنوعة التي بها فارقت نفس البقة، نفس النملة حتى يتنوع من اختلافها اختلاف التركيب، والصفات لم يقدر عليه، ولو تصور أن يكون لله مِثل أو نظير تعالى الله عنه، لجاز أن يقال أنَّ مثله عرفه حق معرفته، والمقايسة إلى نفسه فإنه عرف أولاً ذاته، وعليها قاس ذات غيره، وللآدمي أطوار جنين، ثم طفل، ثم مميز، ثم عاقل، ثم ولي، والجنين يعرف أحوال نفسه، وليس يمكن في حقه معرفة حال الطفل، ولا الطفل يعرف المميز، ولا هو يعرف العاقل، ولا العاقل المدرك نظر العقل المعقولات يدرك الولي المكاشف، ولا الولي يعرف النبي، ولا النبي يعرف الملك كمعرفة الملك نفسه، ولا الملك يعرف الله كمعرفة الله ذاته، فهذه كمالات مترتبة والمحجوب عن كل رتبة قاصر عن الإحاطة بكنه حقيقتها، نعم يبرهن على إثبات أصله فإذا عرفت هذا فاعلم أن منتهى معرفة الخلق علمهم أنَّ هذا العالم العجيب، المنظوم، محتاج إلى مدبر حي عالم، لا يشبه العالم، ولا يشبهه العالم فيدل الخلق عنده على إثبات شيء ما منه صدر الخلق، وهذا معرفة فعله لا ذاته، ويدل على إثبات الحياة والعلم والقدرة، وهذا علم بالأوصاف، لا بحقيقة الذات بل بنوع من المقايسة إلى النفس فلو لم يكن للإنسان وصف يعتبر عنه العلم، والحياة، لما أمكنه أن يدرك بالدليل إثبات أصل هذه الأمور، ويدل أنه تعالى يستحيل عليه الحدوث، والجسمية، وهذا علم بسلب أمور عنه/ لا بحقيقة الذات، وإلى هذه المناهج الثلاثة يرجع معرفة الخلق فيستحيل اطلاع الخلق على كنه معرفة ذاته؛ وذلك نهاية العارفين، وعنده يقال (العجز عن درك الإدراك إدراك) أي مهما علم الإنسان أنَّ العجز عن درك كنه جلاله ضروري فقد أدرك ما هو منتهى كماله، فإنَّه كمال الإنسان، وعنده لو قال

العارف لا أعرفه صدق من وجه، ولو قال أعرفه صدق من وجه، مثاله: من عرض عليه خط منظوم فيقال له هل يعرف كاتبه، فيقول لا فيقال إنَّ كاتبه موجود عالم حي قادر سميع بصير؛ لأن الكتابة لا يتم إلا بهذه الصفات، وليس بجماد، فيقول نعم، فيقال له إذاً عرفته، فله أن يقول وإن عرفتَ هذا فإني لا أعرفه، ويعترض المعارف حالتان: واحدة يقول فيها: لا أعرف الله، وفي الأخرى لا أعرف إلا الله، وهو صادق منهما، أمَّا الأولى: فإنه إذا لاحظ خصوص الذات، ومدَّ طرف قلبه إلى حقيقتها فتعتريه دهشة، وحيرة، فيقول: لا أعرفه. والحالة الثانية: ينظر إلى أفعاله من حيث أنها أفعاله فلا يرى عند ذلك في الوجود إلا الله وأفعاله، فيقول: لست أعرف شيئاً غير الله، وما في الوجود غير الله، فهو الكل على التحقيق وهذا(٣١٢)، فلهذا قال: (صلى الله عليه وسلم) «تفكرُوا في آلاءِ اللهِ ولا تَفَكَّرُوا في اللهِ»(٣١٣)، ولا يستوفي العارف بحار المعرفة التي أفاضها الله عليه منتهاها وإن عُمَّر عمر نوح (عليه السلام) وجميع معرفة العارفين نسبتها إلى معرفة الله أقَل من نسبة قطرة إلى بحار الدنيا، فإنَّ نسبتها إليها نسبة مُتناه إلى غير متناه، ونسبة القطرة إلى البحر نسبة متناه إلى متناه فأصل الوضع خطاء.

[١٨/أ]

ومنها: فتوى جماعة من أئمة بغداد ببلد حوي من خطوطهم، وكان السائل عنها القاضي سيف الدين يحيى بن إبراهيم الواعظ السلماني(٣١٤)، فكتب إليهم، ما قول السادة الأئمة مصابيح الأئمة، ومفاتيح الحوادث المسلَّمة في معرفة الباري، هل يعرف على ما هو عليه وراء معرفة مجرد الوجود إلى الذات والصفات الإلهية عن مضارعة الأوصاف والذوات؟ وهل يتطرق إليه المعقول، ويحيط به العقول، أم ليس إلى درك الحق وصول؛ يفتونا في ذلك مأجورين؟

الجواب: نسخة ابن الفراء(٣١٥) ما لمعت للبشر بارقة من التوحيد، وراء الاعتراف بالموجود المقدس عن سمات الافتقار، والتحديد، ولا وصول إلى معرفة الرحمن إلاَّ بقدر الاستطاعة،

---

(٣١٢) ورد (وهذا) زائدة، والله أعلم.

(٣١٣) سبق تخريجه في الصفحة ٦٠.

(٣١٤) لم أحصل على ترجمته.

(٣١٥) ابْن الْفراء الْحَنْبَلِيّ مُحَمَّد بن الْحُسَيْن بن مُحَمَّد بن خلف بن أَحْمد أَبُو خازم ابْن الْفراء أَخُو القَاضِي أبي يعلى الْحَنْبَلِيّ، سمع الحَدِيث بِبَغْدَاد وسافر إِلَى مصر فَنزل تنيس وَتُوفِّي بهَا في يوم الخميس سَابِع عشر من الْمحرم سنة ثَلَاثِينَ وَأَرْبع مائة وَحمل إِلَى دمياط فَدفن. ينظر: البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، ت: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت- ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ج.٣ص.٤٩، والصفدي، الوافي بالوفيات ج. ٣ص. ٨.

والأشكال، وبهذا نطق القرآن والله المستعان. كتبه محمد بن الحسين الفراء(٣١٦) كذلك جوابي مثل جوابه. كتبه علي بن عبد الله " الزاعوني "(٣١٧)، الجواب نسخة ابن عقيل(٣١٨) أنَّ الله ذكر عن ملائكته العارفين بجلاله أنه:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾(٣١٩)، وقال (صلى الله عليه وسلم): « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ »(٣٢٠)، وإنَّما يعرفه العارفين بحسب ما يدركون من أفعاله الدالة عليه، قال: (صلى الله عليه وسلم) « أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه »(٣٢١)، فكلما حقق العالم في معرفة مخلوقاته، وكان عرفانه بالله بحسب

---

(٣١٦) أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن مُحَمَّد بْن الْحُسَيْن الفراء البغدادي، الْقَاضِي جمال الدين، أَبُو الْعَبَّاس، ابن القاضي أبي يعلى ابن الْقَاضِي أَبِي حازم، ابْن الْقَاضِي أَبِي يعلي الكبير: مولده بواسط، في سنة (٥٤٠هـ)، وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، ذيل طبقات الحنابلة، ت: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض، ج.٣ص. ١٦٣.

(٣١٧) ورد في الأصل عبدالله الزاعوني، والصحيح هو: أَبُو الحَسَنِ بنُ الزَّاغُوْنِيِّ عَلِيُّ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ نَصْرٍ الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، شَيْخُ الحَنَابِلَةِ، ذُو الفُنُوْنِ، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بن نَصْر بن عُبيد الله بن سَهْلِ بنِ الزَّاغونِي البَغْدَادِيّ، وُلِدَ: سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، مؤرخ، فقيه، من أعيان الحنابلة. وقال ابن رجب: كان متفننا في علوم شتى من الأصول والفروع والحديث والوعظ، وصنف في ذلك كله، من كتبه " تاريخ " على السنين، من أول ولاية المسترشد إلى حين وفاته هو، و " الإقناع " و " الواضح " و " الخلاف الكبير " و " المفردات " كلها في الفقه، و " الإيضاح " في أصول الدين، و " غرر البيان " في أصول الفقه، وعدة مجلدات، و " ديوان خطب " من إنشائه، و " مجالس " في الوعظ، و " التلخيص " في الفرائض. وتوفي سنة سبع وعشرين وخمس مائة . ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥- أيار / مايو ٢٠٠٢ م ج.٤ص. ٣١٠، والذهبي، سير أعلام، النبلاء،١٩ص. ٦٠٦.

(٣١٨) ابْنُ عَقِيلٍ هو: على بن عقيل بن محمد، أبو ألوفا شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ بِبَغْدَادَ، وَصَاحِبُ الْفُنُونِ وَغَيْرِهَا مِنَ التَّصَانِيفِ الْمُفِيدَةِ، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ، وقرأ القرآن على ابن سبطا، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ، وَتَفَقَّهَ بِالْقَاضِي أَبِي يَعْلَى بْنِ الْفَرَّاءِ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى ابْنِ بَرْهَانَ، والفرائض على عبد الملك الهمدانيّ، وَالْوَعْظَ عَلَى أَبِي طَاهِرِ بْنِ الْعَلَّافِ، صَاحِبِ ابْنِ سَمْعُونَ، وتوفى بُكْرَةَ الْجُمُعَةِ ثَانِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ، وَكَانَتْ جِنَازَتُهُ حَافِلَةً جِدًّا، وَدُفِنَ قَرِيبًا مِنْ قَبْرِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، إلى جانب الخادم مخلص رحمه الله. ينظر: أبو الفداء، البداية والنهاية،١٢ ص.١٨٤.

(٣١٩) سورة طه: ١١٠.

(٣٢٠) سبق تخريجه في الصفحة ٤٥.

(٣٢١) أخرجه الغزالي، ميزان العمل، حققه وقدم له: د. سليمان دنيا، دار المعارف، مصر- ط١، ١٩٦٤هـ، ج.١ص. ٢٠٠، والخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي ، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر– بيروت – لبنان، ج.٤ص.٤٦١.

ذلك، كتبه ابن عقيل. الجواب نسخة الكياء(٣٢٢) لا يعرف الله على ما هو عليه من الجلال، والكمال إلا هو، وكل يعرف من جلاله على قدر ما يحمَّله علمه، ويتسع له فهمه، بل لا يعرف نبوة النبي إلا النبي، وحقيقة كلام الله، إلا من سمعه من الله، وإذا لم يعرف العالم حقيقة الروح، وهو من خلق الله فكيف الطمع في إدراك خالق الروح، فهذا القدر تلويح جامع من ورائه جناب(٣٢٣) واسع.

كتبه علي الطبري(٣٢٤) جوابي أخِر، مثله كتبه علي المخزومي (٣٢٥)، وكتب محمد بن أحمد الشاشي(٣٢٦) الجواب إنما يمكن معرفة الله ما هو بمقدار الطاقة البشرية.

كتبه منصور بن محمد العلوي الهروي(٣٢٧) جوابي أخِر، إسماعيل بن محمد(٣٢٨) كذلك الجواب المذكور صحيح والله الموفق.

(٣٢٢) ورد في الأصل الكياء، والصحيح علي بْن محمد بْن عليّ عماد الدين أبو الحَسَن الْكِيا، الهرّاسيّ، الطَّبَرِسْتانيّ، الفقيه الشّافعيّ، ولد في سنة خمسين، وأربعمائة. تفقَّه بنَيْسابور مدّةً عَلَى إمام الحرمين، وكان مليح الوجه، جهْوريّ الصّوت، فصيحًا، مطبوع الحركات، زكيّ الأخلاق، ثمّ خرج إلى بيْهق، فأقام بها مدّة، ثمّ قِدم العراق، وولي تدريس النّظاميّة ببغداد إلى أن تُوُفّي، وحظي بالحشمة والجاه والتّجمُّل، وتخرَّج بِهِ الأصحاب، وروى شيئًا يسيرًا عَنْ أَبِي المعالي، وغيره. تَخرَّج بِهِ الأَئِمَّة، وَكَانَ أَحَدَ الفصحَاء، وَمِنْ ذَوِي الثروَة وَالحِشْمَة، لَهُ تَصَانِيْف حَسَنَة: منها " شفاء المسترشدين في مباحث المجتهدين " وهو من أجود كتب الخلافيات، و" أحكام القرآن. رَوَى عَنْهُ: سَعْدُ الخَيْرِ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ غَالِبٍ، وَأَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ، وتوفي إِلكِيَا، فِي المُحَرَّمِ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْس مائَة، وَلَهُ ثَلاَثٌ وَخَمْسُوْنَ سَنَةً وَشهرَانِ، وَكَانُوا يُلَقِّبُونه شَمْسَ الإِسْلاَمِ. ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ج.١٩ص.٣٥٠، والذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ج.١١ص.٥٢، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج.٢٢ص.٥٤.

(٣٢٣) الجناب: الناحية. جناب الدار: ما قرب إليها من نواحيها. وجناب القوم: ما قرب من محلتهم. ينظر: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ت: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط١، ١٤٢٠هـ، م ج٢ص. ١١٨٤.

(٣٢٤) هو: أبو علي الطبري الإمام شيخ الشافعية، الحسن بن القاسم، ومات كهلا في سنة خمسين وثلاث مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج.١٢ ص.١٦٣.

(٣٢٥) علي المخزومي، هو ابن صباح: الشيخ العالم الجليل المسند الأمين نشوء الملك أبو صادق الحسن بن يحيى بن صباح بن حسين بن علي المخزومي، المصري، الكاتب، أحد شهود الخزانة بدمشق. مولده بمصر في زقاق بني جمح في عاشر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وخمس مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج.١٦ص.٢٦٨.

(٣٢٦) محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي أبو بكر، في ليلة السبت خامس عشري شوال سنة سبع وخمسمائة. البغدادي، ينظر: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد وذيوله، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان، دراسة وت: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧ هـ ج.٢١ص.٦.

(٣٢٧) أبو القاسم منصور بن محمد بن محمد العلوي الهروي، ينظر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، ج.٢٠ص.١٧.

(٣٢٨) هو: إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد بن الْفضل بن عَليّ بن أَحْمد بن طَاهِر الطلحي أَبُو الْقَاسِم الأَصْبَهَانِيّ، تلقب بجوزي، شيخ الْحفاظ، إِمَام فِي التَّفْسِير والْحَدِيث واللغة، وَمَات بأصبهان سنة خمس وَثلاثين وخَمْسمِائة(٥٠٦هـ).

[١٩/أ]

وكتب أسعد المِيْهنى(٣٢٩)، الجواب نسخة فتوى الشيخ الإمام ناصح الدين طاهر الهمداني، سأله بعض فقهاء قزوين، عن أربع مسائل منها: هذه المسألة فكتب إليه في جوابه بعد فصول هذا وما أشار إليه من المسائل الأربعة، فأنا لا أُوهِل نفسي لفتح ما يتعلق عليهم، وإيضاح ما يُشكل لديهم، ولكن لما صدقت فيه الرتبة وحسن الظن بي فلا أرى بُداً من إظهار ما في جوابي من هذا النمط، فأقول وبالله التوفيق: إنَّ العارف لا يتصور/ له أن يعرف الله حق معرفته، لا يتصور أيضاً لمن هو فوق درجته من الأنبياء، والأولياء، والعلماء، والملائكة أجمعين، ممن يقع عليه سِمة الحدوث، ورقم المعلولية أن يعرفوه المعرفة الحقيقية، ولا أن يعرفوا أسمائه، وصفاته معرفة تامة محققة، كما هي عليها؛ لأنَّه تعالى وتقدس عن أن يحيط به علم عالم؛ إذ كل من دخل تحت شيء فذلك الشيء فوقه، ومسلط عليه، والعالم، أو العارف إذا أحاط علمه، أو معرفته بشيء فقد سخره، وجعله تحت قدرته، صار فوقه بالقهر، والغلبة، ومَنْ هذا حاله فلا يجوز وصفه بالقدم، فلو تصور لمخلوق أن يعرفه حق معرفته، أو يحط علما بحقيقة صفاته؛ لكان ذلك المحاط به مقهوراً، ومسخراً تحت سلطنة علمه، وما يكون مقهوراً، أو مسخراً تحت سلطنة غيره؛ فذلك الغير فوقه، والقديم لا يجوز أن يكون فوقه أحد من الحوادث، فإذاً لا يجوز أن يعرفه أحد حق المعرفة، وغيره؛ لأنه يؤدي إلى المحال وما يؤدي إلى المحال لمحال، نقلت هذا من خطه، وفيه ركاكة كما ترى، وقصور عن رتبة كلام المحققين، ولكني كتبته كما وجدت، وسأبين في الباب الثاني وجه ركاكة هذا الكلام إنْ شاء الله تعالى.

ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية – لبنان، ج.١ص.٤٥٥.

(٣٢٩) المِيْهنِيُّ هو: أَبُو الفَتْحِ أَسَعْدُ بنُ أَبِي نَصْرٍ بنِ الفَضْلِ شَيْخُ الشَّافعيَة، مَجْدُ الدِّين، أَبُو الفَتْحِ أَسَعْدُ بنُ أَبِي نَصْرٍ بنِ الفَضْلِ القُرَشِيّ، العُمَري، الميهنِي، تَفقه بِمَرْو، وَسَارَ إِلَى غَزْنَةَ وَشَاعَ فَضلُهُ، وَتَخَرَّجَ بِهِ الكِبَارُ، وَمَدَحَهُ أَبُو إِسْحَاقَ الغزّي، ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَاد، وَدرَّس بِالنِّظَامِيَة سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْس مائَة، ثُمَّ عُزِلَ بَعْد سِتِّ سِنِيْنَ، ثُمَّ وَلِيَهَا سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ، وَنشر العِلْم. وله فيه تعليقة مشهورة. والميهني - بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الهاء والنون - وهذه النسبة إلى ميهنة، وهي قرية من قرى خابران، وهي ناحية بين سرخس وأبيورد من إقليم خراسان، وتوفي (٥٢٧هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر – بيروت- ط ، ١٩٠٠م، ج.١ص.٢٠٧، وأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي ط١، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م، ج. ١٦ص.٢٨٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء،ج.١٩ص.٦٣٣.

الباب الثاني: فيما يشكل من كلمات هذه الفتاوى.

يا أخي لا يهولنَّك فتاوى هؤلاء الأئمة الكبار، فيقطع رجاك عن معرفة الله حقاً، ولا تسيئنَّ الظن بهم أيضاً، فإنَّهم أعلام الإسلام، وأعضاد السنة، ولهم في الأصول تصانيف تُتلى، وتنسخ في البلاد وتعتمد عليها في أدلة الاعتماد، ولكن تيقن أن السر في مبالغتهم في نفي الدرك عن ذاته، هو القصد إلى التنزيه، والمراغمة لأهل الحلول والتشبيه، والكسر لزجاجة الخيال عن منال تمثال ذي الجلال، والقص لأجنحة الأفكار عن التطيار إلى دري الكبرياء، وزيبق العظمة والعلا، فإنَّ الخيال والفكر يساوقان العقل في معظم مدركاته، وقلَّ ما يسلم معتقد العوام وضعفاء العقول عن إلقائهما إليه صورة، ومثالاً، أو شكلاً محالاً، فلهذا السبب كان اعتناء الأئمة إلى بيان التقديس، وشرح التنزيه، وصرف الفكر عن الذات أكثر، إذ « لا فكرة في الرب» (٣٣٠)، كما ورد في الخبر فإذا عرفت، فاعلم أنَّ ما يشكل من كلمات فتاويهم المقدمة أربعة:

أحدها: قول أبي المعالي: يعرف وجود الروح فينا ولا سبيل لنا إلى إدراك حقيقته.

الثاني: قول الغزالي وجماعة وافقوه: أنَّه لا يعرف الله حق المعرفة إلاَّ الله، وجميع فصوله دائرة عليه، ومثله ذكر في تصانيفه سيَّما في المقصد الأسني (٣٣١) في أسماء الله الحسنى(٣٣٢).

الثالث: قول الكياء، وابن الفراء: أنَّ كلا يصل إلى معرفته بقدر الاستطاعة، والإمكان، وبقدر ما يحمَّله عقله ويتسع له فهمه.

الرابع: قول أبي طاهر أنه لو كان معلوما لكان مغلوباً مسخراً لعلمنا.

[٢٠/أ] فأمَّا قول أبي المعالي في تمثيل المعرفة بالروح بالألوان في حق الأكمه، فاعلم أنَّ مقصوده في ذلك أن يفهم في ذلك معلوماً بالحقيقة غير مصور، ولا محاط به، فمثَّل ذلك بالروح، وبالألوان في حق الأكمه تقريباً؛ لإفهام العوام فإنَّ تفهَّم ذلك يصعب عليهم، ولم يرد بذلك أنه تعالى لا يعرف حقيقة معرفته كيف، وقد ملأ العالم بتصانيفه في الدلائل التوحيد على أن معظم صفات الروح معلومة لنا بالعقل؛ وذلك إنا نقطع بوجوده في البدن لمشاهدة آثاره من الحسِّ، والحركة، والعلم والقدرة، ثم يتحقق بأنَّ الموجودات على قسمين: قديم، وحادث، فنعلم أنَّ الروح واحد منهما، ثم ننظر هل هو قديم فنقول لو كان قديماً لم يخل من أحوال ثلاثة: أما أن يكون هو الإله بعينه، أو يكون جزءاً منه تعالى عن ذلك، أو يكون قديماً أخر على حِدته غير الله، وجميع ذلك محال إذ

---

(٣٣٠) سبق تخريجه في الصفحة ٥٦.

(٣٣١) ورد في الأصل الأقصى، والصحيح ما أثبته.

(٣٣٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي.

يستحيل أن يكون هو الله كما زعمت النصارى؛ لأنَّ الأرواح متعددة، وقد أقمنا الأدلة على وحدانية الله، وأيضاً يستحيل أن يكون جزءاً منه، كما قالت الحلولية؛ لأنَّ الجزء في مقابلة الكل فيستدعي الانقسام، والانقسام من خواص الأجسام، ومالا انقسام له لا نهاية له، وما نهاية له لا كل له فإذاً لا جزء له، وأيضاً يستحيل أن يكون قديماً أخر غير الله، لاستحالة موجودين متغايرين لا / يختص أحدهما بالثاني اختصاص الصفة بالموصوف، إذ لا يختص أحدهما عن الثاني بالحيز اختصاص الجوهرين بحيزين، فإذاً قد ظهر من خلال هذه التقاسيم، أنه ليس بقديم وإذا لم يكن قديماً كان حادثاً لا محالة، وإذا كان حادثاً كان جوهراً، أو جسماً، أو عرضاً؛ لأنَّ الحوادث لا تعدوا هذه الثلاثة، وهذا علمٌ لنا بمعرفة الروح، وهو العلم القليل الذي أتانا الله من ذلك فقال:﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٣٣٣)، غير أن أكثر الأئمة أطلقوا القول بأنه جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة لكثرة الأخبار الواردة في قبض الروح، ونقله إلى حواصل الطير الخضر، وإلى سجِّين، وبئر برهوت(٣٣٤)، ثم ردها إلى الأبدان، والقبض، والنقل والردّ كلها من لوازم الأجسام.

وأما قول الغزالي، ومبالغته في أنَّه لا يعرف الله حق معرفته إلَّا الله، فإنَّه أراد بذلك قطع المماثلة بالكلية، بين علم الله ،وبين علم الخلق؛ لئلا يسارع إلى أوهام ذوي العقول الواهية، إنَّهم إذا عرفوا الله كمعرفته بنفسه ينبغي أن يكون علمهم مثل علمه تعالى، فلقطع هذا الخيال، بالغ في ذلك المعنى؛ ولأنَّ الحد المحرر أعني معرفة المعلوم على ما هو به عنده لا ينطلق على علم الخلق كما ذكر في المستصفى(٣٣٥)، وغيره.

ثم يمكن أن يقال إنَّ معرفة الله نفسه تفارق معرفة الخلق إياه من وجوه:

منها: أنَّه عرف نفسه على الدوام أزلاً وأبداً، ولمعرفة الخلق له بداية ونهاية؛ ولذلك قال الغزالي: في أخر كلامه أنَّ نسبة علم الخلق إليه، نسبة متناه إلى غير متناه، ونسبة القطرة إلى البحر نسبة متناه إلى متناهٍ.

---

(٣٣٣) سورة الإسراء: ٨٥.

(٣٣٤) بئر بحضرموت، يقال فيها أرواح الكفار. ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، ٦ص. ٢٢٢٧.

(٣٣٥) المستصفى، للغزالي.

ومنها: أن العالم والمعلوم في حقه واحد سيما أنَّ من صفاته العلم، فيكون العلم، والعالم، والمعلوم متحداً إذ تعلم بعلمه علمهُ، فعلمه بالنسبة إلى علمه معلوم، وبالنسبة إلى ذاته عالم، إذ لا مغايرة بين الذات والصفات، وبالنسبة إلى نفس العلم علم، فإذاً ليس علمه غير العالم، ولا العالم غير العلم، ولا هما غير المعلوم، ولا المعلوم غيرهما، والعالم منا علمه بالله غير المعلوم، والعلوم به غير العالم؛ لأنَّ المعلوم قديم غير متناه، والعالم، والعلم حادثان متناهيان، وهما غير القديم، فمن هذه الجهة فارق علم الله بنفسه علما به.

ومنها: أنَّه يعلم ذاته وصفاته، ويعلم حقائق تعلق الصفات بالمتعلقات، ونحن لا نعرف ذلك، إلاَّ على طريق الإجمال يعرف أن لله على الجملة علماً يتعلق بجميع الصفات التي لا يتناهى، ولا نعرف كيف تعلق علم واحد في حالة واحدةٍ بالماضي، والموجود، والمستقبل وهو يعلمه، وأيضاً تعلقه بالمعلومات التي لا يتناهى، فإنَّه يعلم من المعدومات ما صح وجوده أنه إذا وجد كيف هو كقوله تعالى:﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ﴾(٣٣٦)، وقال:﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾(٣٣٧)، وهذا كان اعتراف المسيح (عليه السلام) بالعجز حين يقول:﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾(٣٣٨)، قال أكثر المفسرين والنفس هاهنا العلم(٣٣٩).

ومنها: أنَّ علم الله بنفسه ليس بكسبي، ولا نظري، ولا ضروري، ولا بديهي، وعلوم الخلق من هذا القبيل، فمن جهة هذه الفروق وأمثالها، أراد العلماء قطع المناسبة بين علم الخلق، وعلم الخالق بقدر الطاقة، فاعلم أنَّ تلك الطاقة البشرية هي قدرة البشر على التدريج في مراقي الصنع إلى معرفة الصانع ، كما بيناه، ولها طرق واسعة، أما قريبة وإماً شاسعة، وكلها يفضي إلى معرفة الله، وقد أتممنا القول فيها، وعلم الله القديم بنفسه منزه عن التوسل بشيء والتعريج إلى شيء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

[٢١/أ] وأما: قول أبي طاهر(٣٤٠) لو كان معلوما لكان مقهوراً تحت علمنا، فهو مع ركاكته بعيد عن الحقيقة؛ لأنَّ العلم لا يؤثر في العلوم، كالرؤية لا يؤثر في المَرْأى، بخلاف القدرة والإرادة فإنهما مؤثران في المقدور والمراد، ثم إنَّ المعلوم، لو كان مغلوباً عليه مسخراً، لكان ذات الله

---

(٣٣٦) سورة الأنفال: ٢٣.

(٣٣٧) سورة الأنعام:٢٨.

(٣٣٨) سورة المائدة: ١١٦.

(٣٣٩) منهم أبو العباس المقرئ، ينظر: ابن عادل، أبو حفص عمر بن على الدمشقى الحنبلى (ت: بعد سنة ٨٨٠ هـ)، تفسير اللباب، ج.١ ص.١٠٣١، وابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ج.٧ص.١١٥.

(٣٤٠) الشيخ الإمام ناصح الدين طاهر الهمداني.

مغلوبة مسخرة لله لكونها معلومة له بالإجماع، وهذا خارج عن المفهوم داخل في هذيان المحموم، هذا ما أردت شرحه من كلماتهم، ومن انغلق عليه شيء من ذلك غير ما شرحناه، فليطلبه في أبواب الكتاب فإنَّه يجده لا محالة؛ لاحتواء هذه الأجزاء على معظم دلائل التوحيد/.

الباب الثالث: في نقل فتاوى الذين راغموا أهل الإلحاد والتعطيل.

منها: فتوى جماعة من أهل الري، نسختها هذه ما قول الأئمة في حق رجلين، أحدهما يدعي أنَّه يعرف الله حق المعرفة، والأخر يدعي أنَّ الله لا يمكن أن يعرفه الخلق حق معرفته، بل عجزوا عن ذلك ويدعي أنَّ الله صفة أخص لا يعرفها أحد غير الله، فإنَّهما على الرشاد في صحة الاعتقاد ليفتونا مأجورين؟ الجواب: وبالله التوفيق: اعلم أنَّ العجز عن المعرفة يؤدي إلى نفي المعرفة؛ لأنَّ العاجز عن النبي لا يكون قادراً على عرفانه؛ لأنَّ العجز والقدرة نقيضان لا يجتمعان، فلو عجز الخلق عن معرفته لما كانوا عارفين به، وإذا لم يكونوا عارفين كانوا جاهلين به، والجهل بالله كفر صراح. ومن ادعى أنَّ العجز عن المعرفة معرفة كان كمن ادعى أن المعرفة ليس بمعرفة، وإنَّ العارف ليس بعارف وهذا كلام ظاهر التناقض، الجواب وبالله التوفيق: هذا الذي يدعي أنَّ الله صفة أخص لا يخلوا، إما أن يكون عارفاً بوجود تلك الصفة، أو جاهلاً ،فإن عرف وجودها فليكن عالماً بها كعلمه سائر الصفات، وإن جهل وجودها فمن أين علم أنَّ هناك شيء لا يُعرف، وهذا كلام متناقض، ثم إنَّ الذي لا يعرف الشيء بأخص صفاته كان كالجاهل به، فإنَّ من لا يعلم مثلا الفرس إلاَّ كونه حيواناً مختاراً، لم يعرفه كما هو بل إنما يعرفه إذا عرف خصوصيته؛ وهو اتصافه بالكَرِّ والفَرِّ وغيرهما من خواصه، وكذلك في الشرعيات لو أسلم في شيء، ولم يضبط أوصافه الخاصة لم يصح السلم، فإذا كانت عقود السلم باطلة مع الجهل بصفة اخص المسلم فيه، فكيف يصح عقد الإيمان، والتوحيد، مع الجهل بصفة أخص الباري.

ومنها: نسخة فتاوى جماعة من علماء قزوين وكانت بالفارسية فنقلتها بالعربية، وحذفت الحشو والمكرر منها للاختصار، وهي هذه ما قول المشايخ وأئمة الدين، في قول: من ادعى أنَّ الخليقة بأجمعهم خواصهم، وعوامهم، لا يصلون إلى حقيقة معرفة الله، وأنَّ الله لا يعرفه غيره أحد، فهل لهذا القول وجه ليفتونا مأجورين؟ الجواب وبالله التوفيق: إجماع الأعلام منعقد بأنَّ معرفة الله واجب على العقلاء؛ وذلك لا يخلوا إما أنْ يكون معرفة تامة بشرائطها، أو معرفة ناقصة على غير ما هو به، ولا يجوز أنْ يقال أنَّها ناقصة؛ لأنَّ ذلك النقصان إما أنْ يرجع إلى الذات، أو إلى الصفات، فإن رجع إلى الذات يجب أنْ يكون مُبعِّضاً يعرف بعضه، ويجهل بعضه وهو محال، وإنْ رجع إلى الصفات فيقال إذا جاز أنْ يجهل صفة واحدة جاز أنْ يجهل صفتان فصاعدا، إلى جميع الصفات، فيؤدي إلى إبطال التكليف، وإلى أنَّه لم يعرفه أحد قط ، وصار تقدير قول الشارع

[٢٢/أ]

إذا أمره بالمعرفة أعرف من لا يعرفه قط وهذا بيِّن الاستحالة، الجواب وبالله التوفيق: أجمع المسلمون قاطبة على أنَّ معرفة الله واجبة بقوله:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾(٣٤١)، والأدلة العقلية تدل على جوازها. فمن ادعى أنَّه تعالى لا يُعرف بالحقيقة، فقد ادعى أنَّه لا يوجد في العالم عارف بالله، فهو كفر وجهل، الجواب وبالله التوفيق: من عرف الباري بصفاته الواجبة والجائزة والمستحيلة، فقد عرف حق معرفته، فإنَّ حد التكليف، لا يخرج في المعرفة عن حالتين: إما أنْ يكون عالماً به، أو جاهلا، إذ لا واسطة بين العلم، والجهل، فمن لم يكن عالماً كان جاهلاً، والجهل بالله كفر صريح، وإذا انتفى الجهل فقد حصل العلم به تعالى، الجواب وبالله التوفيق: اعلم أنَّ معرفة الله حق المعرفة، هي أن يعتقد أنَّ الخالق بخلاف الخلق من كل وجه، وأنَّ من سنة الإله بالعالم بوجه من الوجوه كان لم يعرف الله حق معرفته، وأصل صحة الاعتقاد أن يعتقد أنَّ الله بخلاف الخلق، وأنَّ قوله حق تعالى، الجواب وبالله التوفيق: قال علي:(لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا)(٣٤٢)، فهذا يدل على أنَّه عرف الله حق المعرفة، حتى أنَّه لو كشف غطاء الغيب، ورفع الحجاب بين العبد والرب لا يزداد بذلك إيماناً، ولو لم يكن معرفته يقينا لازداد بكشف الغطاء، فعلى هذا إذا جاز/ أن يعرفه علي حق معرفته، جاز أن يعرفه جميع المؤمنين كذلك؛ لأنَّ العقل الذي هو آلة المعرفة، ومناط التكليف متساو لجمهور العقلاء، الجواب وبالله التوفيق: إن الله نادى المؤمنين في تسعة وثمانين موصفاً بقوله: ﴿ يا أيها الذين أمنوا ﴾، فلو لم يكونوا عارفين الله يقينا لكان أخباره عن إيمانهم كذبا وخلفا تعالى، وكيف وقد زكى إيماننا تزكية بليغة في قوله تعالى:﴿ { أمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ} ﴾(٣٤٣) الآية، وقوله:﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾(٣٤٤) الآية، فدل على أنَّ الإيمان بالذي أثنته لنا، وزكاه إيماناً صحيحاً كاملاً صادراً، عن علم حقاً تاماً، والحمد لله على ذلك.

---

(٣٤١) سورة محمد: ١٩.

(٣٤٢) التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله، (ت: ٧٩١هـ)، شرح المقاصد في علم الكلام، دار المعارف النعمانية، سنة النشر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مكان النشر باكستان ج.٢ص.٢٦٢، وقال ابن القيم الجوزي: لَيْسَ هَذَا مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا مِنْ قَوْلِ عَلَيٍّ كَمَا يَظُنُّهُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْمَنْقُولَاتِ – بل هو من قول: عَامِرُ بْنُ عَبَدِ قَيْسٍ. ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت- ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ج.٢ص.٣٧٧.

(٣٤٣) سورة البقرة:٢٨٥.

(٣٤٤) سورة آل عمران: ١٨.

الباب الرابع: في قطع المماثلة بين الخالق والخلق على الإطلاق وإسقاط حرف التشبيه بينهما من كل وجه.

وذلك يُعرف بمعرفة حد المثلين، وحقيقتهما قالت الملاحدة: خذلهم الله أنَّ المثلين هما المشتركان في الوجود، وقال النجار(٣٤٥): المثلان المشتركان في أخص الأوصاف(٣٤٦)، وعند أهل الحق المثلان كل موجودين يسدُّ أحدهما مسدَّ الأخر فيما يجب، ويجوز، ويستحيل من الصفات، والحاصل منه آيل إلى أنهما هما المستويان في صفات النفس، ثم اختلفوا في التماثل بين المثلين، هل هو حال، ووصف زائد على الذاتين، ثم إن الذين أثبتوا الحال، اختلفوا أيضاً في أنه يعلل، أو لا يعلل، أعني هل تكون تلك الحال علة موجبة للتماثل مطردة منعكسة، أم ليست بعلة، وقال القاضي أبوبكر(٣٤٧): الأشبه منع تعليله، وكان من مثبتي الحال هذا تفصيل المذاهب في حقيقة المثلين ولا يكمل معرفة التنزيه بالله، ونفي تشبيهه الخلق إلاَّ بالاطلاع على سرَّ هذه المسألة(٣٤٨).

أمَّا: الرد على الملاحدة في ادعائهم ،أنَّ المثلين هما المشتركان في الوجود، وزعمهم أنَّ القديم لو وصف بالوجود لكان مماثلاً للحوادث، فإذا سئلوا هل هو موجود، قالوا ليس بمعدوم ،وذلك خيال فاسد؛ لأنا نعلم بداية العقول، أن نفي النفي إثبات، كما أنَّ نفي الإثبات نفي، إذ لا واسطة بين النفي، والإثبات، فعلى ذلك إذا نفوا العدم عنه لزم كونه موجوداً، أو إذا نفوا الجهل عنه لزم كونه موجوداً، وإذا نفوا الجهل عنه لزم كونه عالماً، إلى غير ذلك من الصفات، ولو كانوا كما زعموا محترزين من اللفظ المشترك بين الحادث، والقديم لعبَّروا عن الحوادث بالنفي، إذ القديم أولى بالإثبات.

وأمَّا: النجار: فيقال له أنَّ السواد يشترك البياض في الوجود، والحدوث، والعرضيَّة، واللونيَّة وهما غير مثلين، وقد اشتركا في كثير من الصفات.

---

(٣٤٥) النجار: هو الحسين بن محمد بن عبد الله النجار الرازي، أبو عبد الله ، (ت: ٢٢٠ هـ - نحو ٨٣٥ م)، رأس الفرقة النجارية من المعتزلة، له مناظرات عدة مع النّظام وله عدة كتب في الكلام، ينظر: التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي(ت: بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، ت: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت- لبنان، ط١- ١٩٩٦م، ج.٢ص.١٤٥٢.

(٣٤٦) عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المواقف،ج.١ص.٤٠٥.

(٣٤٧) سبق ترجمته في الصحيفة. ٨٦.

(٣٤٨) عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المواقف، ج.١ص.٤٠٣.

وأمَّا: أبو هاشم(٣٤٩) لما أثبت الحال، وعلل المثلين بهما، وسماها أخص، وادعى أنَّ المثلين هما المشتركان(٣٥٠) كان في أخص الصفات، وكان من أصله أنَّ الشيء يخالف خلافه بالصفة، التي يماثل بهما مثله فيقال له العلم هل يخالف القدرة أم لا ؟ فإنْ قال لا أنكر الضرورة، وإنْ قال نعم، فالعلم الحادث إنما يخالف القدرة بكونه علما فوجب أن يماثل العلم بكونه علما، ويلزمه أن يكون العلم الحادث مماثلا للعلم القديم؛ ولأنَّ المماثلة بين المثلين حكم واحد، ثم المماثلة بين السوادين هي كوناهما سواداً، و المماثلة بين البياضين كوناهما بياضاً، فعلل حكماً واحداً، أعني المماثلة بعلَّتين مختلفتين، وهما السوادية والبياضية، ولو ساغ ذلك لساغ أن يكون العالم عالما مرة بالعلم، ومرة بالقدرة، وهو محال، فرجع حاصل الكلام إلى ثلاثة مذاهب:

أبو هاشم: يثبت الحال، ويجعلها علة للتماثل بين المثلين، وقد أبطلناه.

والقاضي: يثبتها ولكن لا يجعلها علة؛ لأنَّ الحال غير موجودة، ولا معدومة، ولا معلومة ولا مجهولة فإذا لم يعقل الأخص في نفسه يبطل التعليل به.

[٢٣/أ]

والثالث: المحققون من الأئمة الذين لا يثبتون الحال أصلاً، ولا يعللون المماثلة، بل يقولون أنَّ المثلين متماثلان لا نفسهما، ولا يرجع التماثل بينهما إلى وصف زائد على الذاتين، وأنَّه يجوز اشتراك المختلفين في الأخص إذ أخص وصف العلم بالسواد المعين مثلاً، هو كونه علما به، ثم علم الله بذلك السواد بعينه علم به، فالعلم الحادث شارك العلم القديم في أخصه، وهذا الاشتراك لا يقتضي تماثل العلمين، فهذا هو الدليل على فساد تعليل المثلين بالاشتراك/ في الأخص، وهو نفي الحال أيضاً، فإذاً قد تحققوا مذهبنا بأنَّ تماثل المثلين هو باشتراكهما في جميع صفات النفس كما تقدم، فعلى هذا من ادعى أنَّه يعلم الباري كعلمه بنفسه، فقد أدخل كاف التشبيه بين علمه، وعلم ربه، والكاف والمثل واحد في اللغة، ولا فرق بين قوله أعلمه كعلمه بنفسه، وبين قوله أعلم كما يعلم، وبين قوله علمي كعلمه، ومن قال علمي كعلم الله خرج من الدين خروج الشعرة من

---

(٣٤٩) أبو هاشم الجبائي هو: عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران المتكلم المشهور العالم ابن العالم؛ كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، ولد في سنة سبع وأربعين ومائتين. وتوفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج.٣ص.١٨٣.

(٣٥٠) الغنية في أصول الدين، أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية – بيروت ط١، ١٩٨٧م، ت : عماد الدين أحمد حيدر ج.١ص.٦٤٤، و الآمدي ، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (ت: ٦٣١هـ)،غاية المرام في علم الكلام، ت: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، سنة النشر: د.س، ت، ط ، ج.١ص.٢٧.

العجين، فإذاً تحقق علم الحادث لا يشارك العلم القديم في جميع صفات النفس، فقد تعين إسقاط حرف التشبيه بينهما، وأيضاً إنَّ اتحاد معلوم علمين يوجب تماثلهما فإذا تعلق علم الحادث به، كما يتعلق علمه بنفسه، فقد تماثل المعلومات، ومن ضرورة تماثل المعلومين تماثل العلمين بخلاف بين أهل الأصول، فهو إمَّا أن يحصل العلم الحادث قديماً باقياً يتعلق بما لا نهاية له من المعلومان ، أو يحصل علم الله حادثاً يتعلق بمعلومات متناهية، تعالى الله عن ذلك.

فإن قيل إنما أدُخل كاف التشبيه منهما في وجه تعلق العلم به لا في نفس العلم، فإذاً العلمان مختلفان، إذ ليس من شرط المختلفين اختلافهما في جميع صفات النفس، ألا ترى مشاركة الجوهر، والعرض في صفات النفس كالوجود، والحدوث وهما مختلفان، فكذلك قد يخالف علم الحادث، علم القديم، وإن اشتركا في وجه التعلق بنفسه، الجواب: عنه أنَّ النزاع في شيء أخر وهو إثبات كاف التمثيل وطرحه إذ صرح هذا القائل أنَّ علمه يخالف علم الله، ولا يُسْتعمل الكاف بين الخلافين مطلقاً، فلا يقال الجوهر كالعرض، والسواد كالبياض، إلَّا بنوع تقييد، فيقال الجوهر في الحدوث كالعرض، والسواد في اللونية كالبياض، فلو قال وجه تعلق علمي الحادث بذات القديم كوجه تعلق علمه القديم بنفسه، كان صحيحاً في الموازنة اللفظية، ولكنه ممنوع أيضاً من وجوه كثيرة:

منها: أنَّه خلاف إجماع المسلمين إذ لم ينقل عن السلف أنَّهم قالوا ذلك بعينه، أو بلفظ يقارنه البتة.

ومنها: إساءة أدب العبودية، والخيرات على الأقدام في تسوية العالمين في اللفظ.

ومنها: أنَّه إيهام لمن قصر علمه عن هذه الفروق الدقيقة.

ومنها: أنَّه يلزمه في سائر الصفات أن يقول أقدر مثلا تحريك جسم كما يقدر الله؛ لأنَّه قادر على تحريك يده بطريق الأكتاف، والرب قادر عليه بطريق الإيجاد فكانت تلك الحركة مقدورة بين القادرين، فإذاً القدرتان شاركتا في صفة ما، ولا يقول المسلم المعتقد إني أقدر كقدرته، وكذلك إذا كان مريداً للقيام والله مريد قيامه كما قال: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾(٣٥١)، فالإرادتان وإنْ واقعتا في وجه ما لا يسوغ للعبد أن يقول أريد كما يريد الله، وكذلك إذا تعلق علمه بسواد مثلاً والله يعلم سواد ولا يجوز له أنْ يقول علمي بهذا السواد كعلم ربي به؛ لأنَّ ذلك إنما يطلق في التشبيه بين المثلين المشتركين في جميع صفات النفس على ما شرحناه، وإطلاق حرف التشبيه في المشاركين في نفس الصفات، إنما يكون من آداب الشعراء المجوزين، لا من عادة العلماء المبرزين، ولهذا المعنى قال بعض أهل التحقيق أن من شرائط التوحيد ترك التساوي بين النعوت، فعاد حاصل الاعتقاد بعد البحث الحثيث والتفتيش الشديد، إلى أنَّ الواجب على العبد أن

---

(٣٥١) سورة الإنسان: ٣٠.

يعرف الله حق معرفته، ويعتقد أنَّ الله يعرف نفسه حق معرفته، ولكن كاف التشبيه ساقطة بين المعرفتين إجلالاً وتعظيماً للربوبية، ومراعاة لحسن الأدب، ومراقبة لمقام العبودية، ومراغمة لأنوف للمشبهة، وحسما للإيهام عن الأوهام، فهذا ما بلغ فهمي إليه من شرح هذه المسألة المشكلة فإن كان عند أحد عليه مزيد فليُفيدني أغتنم ذلك ففوق كل ذي علم عليم.

[٢٤/أ]

خاتمة: اعلم أنَّ المعرفة الحق والتَّوْحِيد الصِّرْفِ واسطة بين التشبيه، والتعطيل، وهو الصراط المستقيم المشار إليه في القرآن :﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾(٣٥٢)، وإنَّ من تبع سبيل التشبيه أداه إلى التجسيم، والتصنيم، ومن اتبع سبيل التعطيل أداه إلى الإلحاد والتعليم وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، فإذا القوم بين/ مفرِّطٍ ومفرِطٍ ومتوسط والمفَّرط المشبهة ومن ضاهاهم، والمفرط المعطلة ومن والآهم، والمتوسطة الموحدة وقليل ما هم ثلاثة، والحق في واحد والقول بالاثنين للما نوى، ثم إنَّ علماء الأمصار، وأئمة الأقطار من كان منهم مبتلي بأهل التشبيه كان ميله في فتواه، وتصنيفه إلى طرف التنزيه، ونفي الإدراك عن الذات أكثر حسما لمادة طرح المتشبهة عن الإحاطة بذاته تعالى، ومن كان منهم مبتلي بأهل التعطيل، والإلحاد كعلماء قزوين، والري، وأمثالها كان ميله في فتواه وتصنيفه إلى طرف الإثبات، وتحقيق معرفة الذات أكثر حسما لمادة طمع الملاحدة عن نفي الصانع، وتعطيل صفاته، فإذا عرفت هذه الخاتمة لم يشتبه عليك شيء مما نورده من فتاويهم قبل(٣٥٣). والحمد لله رب العالمين اللهم بارك لصاحبه فيه واجعله من الفائزين يوم الفزع الأكبر، وصلى الله على محمد أجمعين.

---

(٣٥٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣٥٣) نهاية اللوحة.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة المتواضعة، يجدر بي أن أذكر خلاصتها وأهم النتائج التي توصلت إليها، أجملها فيما يأتي:

أولاً: حصلنا في ضمن بحثنا أن القزويني اهتمَّ بمعرفة الله تعالى اهتماما بالغا؛ لأن في عصره وقع الخلاف بين المسلمين حول معرفة الله تعالى، كما أشار إليه القزويني بقوله: " فإني ما سمعت جماعة من المسلمين يتناطحون في هذه المسألة و يتذابحون عليها أعني مسألة المعرفة فبعضهم يدعي أن الله يُعرف حقيقة وبعضهم يصرح بأنه لا يعرف بالحقيقة.

ثانياً: حصلنا أثناء دراستي لشخصية أبي محمد طاهر القزويني، أنه على مذهب الأشعري.

ثالثاً: للقزويني آثار علمية في مختلف العلوم، من علم الكلام والنحو والصرف والأدب، ومنها: كتاب تنزيه الحق وبدء الخلق: ١٠لوحة. وكتاب سراج العقول في منهاج الأصول:١٢٥لوحة. كتاب الياقوت في تسبيح الملك والملكوت: ١٨لوحة. وكتاب مصفاة الصفات والرد على النفاة: ١٢لوحة. وكتاب نور الحقيقة في إثبات المعرفة:٢٥لوحة. وكتاب حل العيبة عن حال الغيبة:٧لوحة. وكتاب شرح تسبيح الصوفية وأسرارهم: ٢٠لوحة.

رابعاً: تناول القزويني أموراً أخرى في تأليفه من المسائل العلمية، وذكر عبارات التصوف والإشارة إلى بعض ما وقع في عصره.

خامساً: وقد وقف القزويني في مسألة الرؤية إلى جانب أهل السنة والجماعة، في القول بجواز رؤية الله سبحانه تعالى في الآخرة.

سادساً: وقد ثبت القزويني صفة كلام الله كصفة ذاتية وقديمة كسائر الصفات الأخرى. وذهب القزويني إلى ما ذهب إليه الأشاعرة من أنَّ كلام الله ليس بصوت، ولا حرف وهو معنى واحد لا يتجزأ ولا يتعدد ولا يتبعض ولا يتكثر.

سابعاً: أن القزويني نفى الجهات عن رب العالمين، وكذا الكيفية، والكمية، واللمية، والأينية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت:١٢٥٠) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ت: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. س، ت، ط.

٢- الهمذاني محمد بن حسن بن عبدالصمد الحارثي العاملي بهاء الدين (ت: ١٠٣١هـ)، الكشكول، ت: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: ٧١٠هـ)، تفسير النسفي، دار النفائس، ٢٠٠٥م - بيروت.

٤- ابن أبي الحديد ،عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين ، أبو حامد، عز الدين (ت: ٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. س، ت، ط .

٥- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٦- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧- ابن الأثير، أبو السعادات، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت: ٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ت: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة ت: بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان- ط١، د. س، ت، ط.

٨- ابن الجوزي، أبو الفرج، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي – بيروت ط٣، ، ١٤٠٤هـ.

٩- ابن الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

١٠- ابن الخطيب، محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم (ت:٩٤٠هـ)، روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، دار القلم ، حلب، ط١، ١٤٢٣ هـ.
١١- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (ت: ٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، ت: د. سهيل زكار، دار الفكر، د.ت، ط.
١٢- ابن الكثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م.
١٣- ابن الكثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية.
١٤- ابن المغيرة، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، التاريخ الأوسط ، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي ، مكتبة دار التراث - حلب ، القاهرة. ط١، ١٣٩٧ – ١٩٧٧م.
١٥- ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، درء تعارض العقل والنقل، ت: الدكتور محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ، ١٤١١ هـ.
١٦- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: ٧٢٨هـ) مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
١٧- ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (: ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، ت: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م.
١٨- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: ٣١١هـ)، صحيحه، حَققهُ وعَلّق عليه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٩- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر – بيروت ط، ١٩٠٠م.
٢٠- ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي(ت: ٧٩٥هـ)، ذيل طبقات الحنابلة، ت: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان- الرياض، د. س، ت، ط.

٢١- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٢٢- ابن عباس - رضي الله عنهما - (ت: ٦٨هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان- بيرت، د. س، ت، ط.

٢٣- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط، ١٤١٩هـ.

٢٤- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ط.

٢٥- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت: ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

٢٦- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت- لبنان ط٣-، ١٤١٤هـ.

٢٧- ابن وكيع، الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع (ت: ٣٩٣هـ)، المنصف للسارق والمسروق منه، حققه وقدم له: عمر خليفة بن ادريس، جامعة قات يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م.

٢٨- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، ت: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت- ط١، ١٤١١ هـ.

٢٩- أبو الفتح، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي (ت: ٨٥٢هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٠- أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء، (ت١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر – بيروت – لبنان، د. س، ت، ط.

٣١- أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت: ٣٨٠هـ) التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية – بيروت د.س، ت، ط.

٣٢- أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، ومعه تخريج الحافظ العراقي، د. س، ت، ط.

٣٣- أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقى الحنبلى المتوفى بعد سنة ٨٨٠ هـ ، تفسير اللباب، دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت، د.س، ت، ط.
٣٤- أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقي الحنبلى (المتوفى بعد سنة ٨٨٠ هـ) تفسير اللباب، د. س، ت، ط.
٣٥- أبو داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود البصرى (ت: ٢٠٤هـ) ، مسنده، ت: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
٣٦- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت:٢٧٥هـ)، سنن أبو داود الأرنؤوط ، ت: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
٣٧- أبو سعيد المصري، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، نقلا عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، د. س، ت، ط.
٣٨- أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، الغنية في أصول الدين، بيروت ط١ ، ١٩٨٧م، ت : عماد الدين أحمد حيدر، د.ت، ط .
٣٩- أبو عبد الرحمن ، محمد بن محمد درويش، الحوت الشافعي (ت: ١٢٧٧هـ)، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٤٠- الأسفراييني ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي ، أبو منصور (ت: ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت ط٢، ١٩٧٧م.
٤١- الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت: ٤٣٠هـ)، معرفة الصحابة، ت: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض- ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
٤٢- الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ (ت: ٣٦٩هـ)، العظمة، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المبار كفوري، دار العاصمة الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
٤٣- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت: ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م دار الكتاب العربي – بيروت دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت دار الكتب العلمية- بيروت، ط، ١٤٠٩هـ.

٤٤- الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي ، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، الترغيب والترهيب، ت: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
٤٥- آمال بنت عبد العزيز العمرو، الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، د. س، ط.
٤٦- الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (ت: ٦٣١هـ)،غاية المرام في علم الكلام، ت: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة سنة النشر، د. ت.
٤٧- الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد ، المواقف، ت : د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت لبنان- ط١، ١٩٩٧م.
٤٨- البصري، الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع ، ت: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة ، مكتبة الاستقامة، سنة النشر: ١٤١٥هـ.
٤٩- البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني (ت: ١٣٩٩هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ١٩٥١م.
٥٠- البغدادي، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت: ٦١٦هـ)، شرح ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى السقا/إبراهيم الأبياري/عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة – بيروت، د. س، ت، ط.
٥١- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد وذيله، دار الكتب العلمية، بيروت، دراسة و ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط١،١٤١٧هـ.
٥٢- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي محيي السنة (ت: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ت : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت- ط١، ١٤٢٠ هـ.
٥٣- البلخى، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت: ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن ، سليمان، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت ط١، - ١٤٢٣هـ.
٥٤- البوطي، محمد سعيد رمضان ، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر، المعاصر بيروت- لبنان- دار الفكر دمشق- سورية- ١٩٩٧م.
٥٥- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٥٦- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر(ت: ٤٥٨هـ)، الزهد الكبير، ت: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان، ط٣، ١٩٩٦م.

٥٧- التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع (ت: ٢٨٣هـ)، تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، ت: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٥٨- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله ، سنة (ت:٧٩١هـ)، شرح المقاصد في علم الكلام، ت: دار المعارف النعمانية سنة النشر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مكان النشر باكستان.

٥٩- التميمي، محمد بن خليفة بن علي ، مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية – ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٦٠- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان- ط١، ١٤٢٢هـ.

٦١- الجارم، علي الجارم و مصطفى أمين، البلاغة الواضحة - ت: الشحود: جمعه ورتبه وعلق عليه ونسقه : علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة، د. س، ت، ط.

٦٢- جامي، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (ت: ١٤١٥هـ)، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٠٨هـ.

٦٣- الجزائري ، مبارك بن محمد الميلي (ت: ١٣٦٤هـ)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم: محمد الميلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، عام النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٤- الجويني ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي، (ت:٤٧٨)، غياث الأمم والتياث الظلم، ت: د. فؤاد عبد المنعم ، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، سنة النشر ١٩٧٩م، مكان النشر الاسكندرية.

٦٥- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى - بغداد دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية،١٩٤١م.

٦٦- الحملاوي، عمر العرباوي (ت: ١٤٠٥هـ)، كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»، مطبعة الوراقة العصرية، تاريخ النشر: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

٦٧- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، د. س، ت، ط.

٦٨- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ط٢، ١٩٩٥م.

٦٩- الحِميرى، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت:٩٠٠هـ)، الروض، المعطار في الأقطار، ت: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م.

٧٠- حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٧١- الحنبلي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي ، أبو اليمن، مجير الدين(ت: ٩٢٨هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ت: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس – عمان سنة النشر، د. س، ت، ط.

٧٢- الخميس محمد بن عبد الرحمن ، الفقه الأكبر مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة، ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (ت: ١٥٠هـ)، مكتبة الفرقان - الإمارات العربية ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٧٣- الدكتور صالح الرقب – والدكتور محمود الشوبكي، دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية ، قسم العقيدة- كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية- غزة ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٧٤- الدمشقي عمر كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة (ت: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، د. س، ت، ط.

٧٥- شرح النسفية في العقيدة الإسلامية. تأليف: الدكتور عبد الملك عبدالرحمن السعدي.

٧٦- الدمشقيى ، عبد الحي بن أحمد العكري (ت:١٠٨٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، د.س، ت، ط.

٧٧- دهلوي، محدث هند شاه ولي الله دهلوي رحمه الله، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، تصحيح و مراجعه سيد جمال الدين هروي، د. س، ت، ط.

٧٨- الدوري، قحطان عبدالرحمن الدوري، العقيدة الاسلامية ومذاهبها، بيروت، لبنان، ١٤٣٥هـ ، ط٤، ٢٠١٤م.

٧٩- الذهبي ، أبو عبد الله ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، العرش ، ت: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ط٢، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.
٨٠- الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان،تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ت: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.
٨١- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ، سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة، ط، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٨٢- الذهبي، حسين الدكتور محمد السيد حسين (ت: ١٣٩٨هـ)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، د.س، ت، ط.
٨٣- الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن ، دروس في العقيدة، د. س، ط.
٨٤- الرازي أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين خطيب الري (ت:٦٠٦هـ)، أسرار التنزيل، دار المسلم ـ جمهورية مصر العربية، ت: عبد القادر أحمد عطا، د. س، ت، ط.
٨٥- الرازي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت: ٤١٨هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تأليف: تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دارطيبة – السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٨٦- الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني الشهير بمرتضى، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- ط، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٨٧- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس ، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.س، ت، ط.
٨٨- الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) ،الأعلام، دار العلم للملايين ط١٥، ٢٠٠٢ م.
٨٩- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي – بيروت- لبنان، د.س، ت، ط.
٩٠- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت: ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط٢، ١٤١٣هـ.

٩١- السخاوي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: ٩٠٢هـ)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت- ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٩٢- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تفسير السمعاني، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٩٣- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، جمع الجوامع أو جامع الكبير ، د. س، ت، ط.

٩٤- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، د. س، ت، ط.

٩٥- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، ت: د. محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، د. س،ت.

٩٦- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية – لبنان، د. س، ت، ط.

٩٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، حاشية السيوطي والسندي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٩٨- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت: مركز هجر للبحوث- دار هجر – مصر- سنة النشر: [١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٩٩- القول السديد شرح جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم اللقاني (ت:١٠٤١هـ)، تأليف: علي عثمان جرادي، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان سنة الطبعة ١٤٣٤هـ ٢٠١٣، ط١.

١٠٠- الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشافعي(ت:٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) القاهرة- عام النشر: ١٢٨٥هـ .

١٠١- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار النشر دار الفكر – بيروت، د. س، ت، ط.

١٠٢- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت- لبنان، دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٠٣- الصَّلاَّبي علي محمد محمد ، الدولة العُثمانية - عَوَامل النهُوض وأسباب السُّقوط، ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

١٠٤- الصَّلاَّبي عَلي محمد محمد ، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

١٠٥- أصول الدين الإسلامي، تأليف: الدكتور: رُشدي محمد عليان – والدكتور قحطان عبدالرحمان الدوري. بيروت لبنان ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ط٢.

١٠٦- الطبراني، أبو القاسم ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (٣٦٠ هـ)، الدعاء، ت: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٣هـ.

١٠٧- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، ت: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، د. س، ت، ط.

١٠٨- الطحاوي ، الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي ، شرح العقيدة الطحاوية والمسمى بـ ((إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل))، شرحها : الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، د. س، ت، ط.

١٠٩- ظهر الإسلام: أحمد أمين.

١١٠- العجمي، أ. د. أبو اليزيد أبو زيد ، العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة: (أبو حنيفة- مالك- الشافعي- أحمد) الموقف والمنهاج، ط٢، ١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة- الاسكندرية.

١١١- العسيري، أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ط١، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦م.

١١٢- العَكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ت: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط دار ابن كثير، دمشق - بيروت ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

١١٣- عواجي غالب بن علي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المكتبة العصرية الذهبية- جدة ط١، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

١١٤- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (: ٥٠٥هـ)، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ت: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، ط١، ١٤٠٧١٩٨٧م.

١١٥- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليل دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان – ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

١١٦- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ، المنقذ من الضلال، بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، د س، ط.

١١٧- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، ميزان العمل، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر- ط١، ١٩٦٤هـ.

١١٨- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، منتخب من صحاح الجوهري، د. س، ت، ط.

١١٩- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ.

١٢٠- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٢١- القزويني ، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد ، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجة، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د. س، ت، ط.

١٢٢- القزويني ، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي (ت: ٦٢٣هـ)، التدوين في أخبار قزوين، ت: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، ط ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

١٢٣- القزويني، أبو طاهر بن أحمد بن محمد ، سراج العقول في منهاج الأصول، ت: مصلح أحمد نبي، رسالة ماجستير في كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

١٢٤- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت:٦٨٢هـ) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر – بيروت، د.س، ت، ط.

١٢٥- القناوي أبو الحسن، شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة، أبو الحسن القفطي، ضياء الدين المعروف بابن الحاج (ت: ٥٩٨هـ)، حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر، ت: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٢٦- مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الموسوعة التاريخية موجز مرتب مؤرخ لأحداث التاريخ الإسلامي منذ مولد النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - حتى عصرنا الحالي، د. س، ط.

١٢٧- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.

١٢٨- المرزوي ، عبد الله بن المبارك بن واضح أبو عبد الله (١١٨- ١٨١)، الزهد - مشكول، ت : حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، د. س، ت، ط.

١٢٩- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي (ت: ٢٠٤هـ)، الرسالة، ت: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر- ط١، ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م.

١٣٠- ملا علي القاري، أبو الحسن، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، ت: قدم له: الشيخ عبد الفتح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم دار الأرقم - لبنان - بيروت ط، د.س، ت، ط.

١٣١- الملاح، أبو عبد الرحمن محمود بن محمد ، الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره، قدم له: فضيلة الشيخ عبد الله بن مانع الروقي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.

١٣٢- النيسابوري، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم ، أبو عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، ت: سيد عمران، دار الكتب العلمية لبنان- بيروت، ط، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٣٣- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. س، ت، ط.

١٣٤- - البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (ت: ٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ط١، ١٤٢٣ هـ.

١٣٥- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ) مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٣٦- إسحاق بن الحسين المنجم (ت: ق ٤ هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٣٧- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ط٣، د. س، ت، ط.

١٣٨- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٣٩- نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ت: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

١٤٠- دعاء الصباح لإمام المتقين وقائد الغر المحجلين الإمام أمير المؤمنين، دعاؤه لدفع الأعداء، المسمى باليماني.
www.haydarya .com / book _٠٧.

السيرة الذاتية

الطالب: سالار زيرو عبدالله.

ولدت في سنة ١٩٨٢ في قرية البراك ونشأت فيها وهي احدى قرى قضاء عقرة في محافظة دهوك، متزوج ولي ثلاثة أطفال.

درست في المدارس الدينية على يد العديد من العلماء الأجلاء.

منها: مدرسة الشيخ عبدالجبار في قرية (زركه زه وي) في محافظة أربيل، وبقيت عنده أربع سنوات.

ثم أكملت الدراسة في كلية " العلوم الإسلامية " قسم أصول الدين، في جامعة صلاح الدين في أربيل، وتخرجت منها في سنة ٢٠١٢.

وفي الختام

فإني أحمد لله تعالى على توفيقه وإكرامه لي لإتمام هذا البحث المتواضع، وأقول فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى وحده فأحمده على ذلك، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان الرجيم، واستغفر الله منه وأعاذني الله من شره، وادعو الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قد بذلت قصارى جهدي في تحقيق لهذا الكتاب ولا أزعم إني قد أعطيت حقه، أو أشرفت على الكمال؛ لأن الكمال لله وحده. لذلك من وجد في هذا الكتاب خطأ في كلمة أو جملة فليراجع نسخة المخطوط فإني وضعت نسخة من المخطوط في أخره.

Salar Abdulla ٢٠١٦@gmail. Com.

ÖZGEÇMİŞ

KİŞİSEL BİLGİLER

Adı Soyadı	Salar Zıro ABDULLAH
Doğum Yeri	Dohuk – Irak
Doğum Tarihi	٠١/٠١/١٩٨٢

LİSANS EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	Camiatu Salahaddîn
Fakülte	‘Ulumul-İslamiyye
Bölüm	Usuliddin

YABANCI DİL BİLGİSİ

İngilizce	
Arapça	İyi

İLETİŞİM

Adres	Dohuk – Irak
E-mail	Slarabdulaa٢٠١٦@gmail.com